الباب الثاني
أقوال المخالفين في الرؤى
ومناقشتهم

وفيه فصلان:

الفصل الأول: نظريات علماء النفس في الرؤى ومناقشتهم.

الفصل الثاني: مذهب الصوفية في الرؤى والرد عليهم.

تمهيد

تقدم في الباب الأول حقيقة الرؤى وأقسامها عند أهل السنة والجماعة، كما دل على ذلك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والمسلم الحق يجب أن يكون وقافًا عند أمر الله تعالى لا يجاوزه ولا يقصر فيه، وكل انحراف عن أمر الله إنما هو نزعة من الشيطان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: دين الله وسط بين الغالي فيه، والجافي عنه، والله تعالى ما أمر عباده بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالي بأيهما ظفر، إما إفراط فيه، وإما تفريط فيه.

وإذا كان الإسلام الذي هو دين الله لا يقبل من أحد سواه، قد اعترض الشيطان كثيرًا ممن ينتسب إليه، حتى أخرجه عن كثير من شرائعه [1].

وقال ابن القيم رحمه الله: وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان:

إما إلى تفريط وإضاعة.

وإما إلى إفراط وغلو.

ودين الله وسط بين الجافي عنه، والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين فكما أن الكافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له،، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد [2].

---

(1) الوصية الكبرى (ص65) بتعليق محمد عبد الله النمر وعثماني جمعة ضميرية دار الفاروق الطبعة الثانية 1410 هـ

(2) مدارج السالكين (521/2، 522) دار الكتب العلمية الطبعة الأولى (1403 هـ).

فالإفراط والتفريط كلاهما تضييع لأمر الله وعدم تعظيم له، وقد حصل الإفراط والتفريط في الرؤى.

فمن الناس من أنكر جوانب من الرؤى، فأنكر الرؤيا الصادقة، كالماديين في عصرنا وفي كل عصر، كأتباع مدرسة التحليل النفسي.

وفي مقابل هؤلاء هناك من يعتمدون على الرؤى في حياتهم كأنها وحي، بل منهم من يجعلها حجة يستدل بها كما يستدل بالكتاب والسنة.

فهؤلاء وهؤلاء لهم في الرؤى تخرصات وتخبطات، وأقاويل ما أنزل الله بها من سلطان.

وسوف أعرض إن شاء الله، مذهب كل طائفة في الرؤى ثم أقوم بمناقشة آرائهم وذلك من خلال الفصلين التاليين.

الفصل الأول: نظريات علماء النفس في الرؤى، ومناقشتهم ويمثل هذا جانب التفريط والتقصير.

الفصل الثاني: مذهب الصوفية في الرؤى، والرد عليه ويمثل جانب الإفراط والغلو.

الفصل الأول

نظريات علماء النفس في الرؤى ومناقشتهم

وفيه تمهيد ومبحثان:

تمهيد: تعريف علم النفس.

المبحث الأول: نظرية التحليل النفسي ومناقشتها.

المبحث الثاني: نظرية التنبيهات الخارجية ومناقشتها.

تمهيد

تعريف علم النفس

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعريف علم النفس.

المسألة الثانية: نشأته وأطواره.

المسألة الثالثة: مصادر المعرفة عند علماء النفس.

المسألة الأولى: تعريف علم النفس

عرف بعضهم علم النفس بأنه: العلم الذي يدرس الحوادث النفسية؛ فكما أن علم الاجتماع يدرس حوادث المجتمع، فعلم النفس يدرس حوادث النفس من صور وأفكار وعواطف وميول.

وعرف آخرون علم النفس، بأنه دراسة السلوك البشري.

وقالوا إن مهمة العالم النفسي ليست سوى وصف أعمال الجنس البشري بصورة دقيقة.

ولكن إذا نظرنا إلى هذين التعريفين، وجدنا أن التعريف الأول فيه غموض، لأن الحوادث النفسية لا يمكن إدراكها في كثير من الأحيان.

والتعريف الثاني، تعريف ناقص، لأن الإنسان ليس مادة فقط، بل هو إنسان ذو مشاعر وعواطف وإحساسات داخلية وميول.

ولهذا جمع كثير من المتأخرين من علماء النفس بين التعريفين، وضموا الظواهر النفسية الداخلية إلى الظواهر السلوكية الخارجية، فقالوا في تعريف علم النفس بأنه:

العلم الذي يبحث في السلوك الإنساني وتوافقه مع البيئة [1]. وعلماء النفس – برغم اختلاف اهتماماتهم – متفقون على أن السلوك هو محور وأساس دراساتهم، وأن موضوع علم النفس هو السلوك باعتباره محصلة تفاعل الفرد مع بيئته [2].

وأنواع السلوكيات في نظر علماء النفس التي تصدر عن الإنسان أثناء تفاعله مع البيئة وتوافقه معها كثيرة ومتعددة فمنها:

1– الإدراك: وهو العملية العقلية التي تتم بها معرفة العالم الخارجي عن طريق التنبيهات الحسية.

فقام علماء النفس بدراسة عملية الإدراك عند الإنسان، والأجهزة المختلفة التي بها تتم هذه العملية، والظروف المختلفة التي تؤثر فيها.

2– دوافع السلوك: سواء كانت فطرية كالجوع والعطش، أو مكتسبة كرغبة الإنسان في جمع المال.

فقام علماء النفس بدراسة الدوافع بأنواعها الفطرية والمكتسبة، وأثر هذه الدوافع في سلوك الأفراد، وفي تصرفاتهم المختلفة.

3– الانفعالات: فيهتم علماء النفس بدراسة انفعالات الإنسان الفطرية مثل الخوف والغضب والانفعالات المكتسبة، فيدرسون أثر هذه الانفعالات في حياة الناس وسلوكهم وأثرها في صحتهم.

---

(1) انظر هذه التعريفات في: بحوث في علم النفس (ص11–12) للدكتور فائز محمد علي الحاج، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة 1400 هـ والمدخل إلى علم النفس (ص35–39) تأليف الدكتور عبد الله بن عبد الحي موسى، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة.

(2) انظر: المدخل إلى علم النفس، تأليف الدكتور عبد الله بن عبد الحي موسى (ص76).

4- النضج: فيدرس علماء النفس المراحل التي يمر بها الإنسان أثناء حياته من طفولة وشيخوخة، والعوامل التي تؤثر فيها.

5- التعلم: فيهتم علماء النفس بدراسة طبيعة التعلم، وطرقه، ومبادئه.

6- التذكر والنسيان: يهتم علماء النفس بدراسة العوامل التي تساعد الإنسان على التذكر، والعوامل التي تسبب النسيان.

7- التخيل والتفكر: يهتم علماء النفس بدراسة التخيل وعلاقته بوظائف الإنسان العقلية الأخرى مثل: الأحلام والإبداع والتفكير.

8- الشخصية: والمقصود العوامل التي تؤثر في تكوينها، وأسباب انحرافها وشذوذها وطرق علاجها.

9- الفروق الفردية: سواء كانت بدنية أو نفسية أو عقلية، فيدرس علماء النفس أسباب الفروق الفردية، وأثر كل من الوراثة والبيئة فيها [1].

فموضوع علم النفس هو السلوك الإنساني:

يقول الدكتور فائز الحاج: وبالرغم من احتفاظ هذا العلم باسم علم النفس فإن العلماء لا يعتبرون أنفسهم مهتمين بدراسة شيء منفصل عن الجسد، حتى لو كانت النفس موجودة فعلا، فإن عدم رؤيتهم لها يبعدها عن ميدان البحث العلمي، وذلك لأن العلماء يعجزون عن بحث أي شيء لا يقع تحت حسهم أو لا يمكن أن يؤتي به إلى ميدان الحس بواسطة اللغة، أو بواسطة بعض الآلات كالمجهر وآلة التصوير أو غيرها [2].

---

(1) انظر: علم النفس في حياتنا اليومية (ص10-14) تأليف الدكتور محمد عثمان نجاتي، دار النهضة العربية الطبعة الرابعة 1964م.

(2) بحوث في علم النفس (ص12).

فينطلق علم النفس في جميع اتجاهاته من مبدأ أساس هو أن الإنسان في تكوينه النفسي يخضع لتكوينه العضوي المادي.

وهذا التصوير الخاطئ للإنسان أنتج نتائج خاطئة.

يقول الدكتور عبد الحميد الهاشمي: فالمشكلة الأساسية والمزمنة في الدراسات النفسية أنها لا تنظر للإنسان ككل في إطار واحد متكامل بجميع أبعاده التكوينية ومظاهره النفسية، وإنما كانت تركز في كل فترة زمنية من تاريخ علم النفس على جانب واحد فقط تسلط عليه أضواء البحث مهملة في ذات الوقت بقية الجوانب النفسية الأخرى.

كما أن بعض هذه التصورات المختلفة كانت لاختلاف ثقافات واتجاهات بعض العلماء النفسيين، فكان أحدهم مثلا يلمح نقطة يكتشفها في مجال النفس الإنسانية، فيقوم ويضع خريطة تخطيطية لجميع النفس الإنسانية من خلال تلك النقطة التي اكتشفها، ثم يدعي أن ذلك هو كل النفس الإنسانية، فكانت هناك تخطيطات وتصورات تختلف واحدها عن الأخرى، ولا يمكن أن تكون كلها صحيحة، كما أن أحدها لا يكون بمفرده صحيحًا.

فالإنسان لديهم إما روح سامية وكفى، أو هو عقل مجرد، أو إحساس فقط، أو شعور سائد، أو لا شعور مهيمن، أو سلوك حركي ظاهري مادي.

فالمشكلة في الدراسات النفسية كانت ولا تزال في عدم الفهم الدقيق والعميق والشامل لجوانب التكوين في النفس الإنسانية، وفي عدم حفظ التوازن بين تلك الجوانب المتفاعلة في الحياة النفسية [1].

---

(1) علم النفس في التصور الإسلامي (ص18-20).

فكان من نتائج هذا التصور الناقص، نتائج منحرفة في الدراسات النفسية منها:

1- قصور الدراسات النفسية على جانب واحد فقط من جوانب النفس الإنسانية يختلف من عالم إلى آخر، مما جعل الصورة العامة لعلم النفس غامضة.

2- تركيز مطلق على الجانب الإدراكي العقلي وحده، وكأن الإنسان آلة حاسبة أو عقل آلي فقط.

3- اهتمام بالجانب المادي للنفس والدوافع والنشاط مع إهمال لبقية الجوانب الروحية والخلقية التي تمثل ركنًا هامًا في تكوين الشخصية وبناء النفس الإنسانية.

فكان من ذلك قلق نفسي مع عناء مادي [1].

المسألة الثانية: نشأة علم النفس وأطواره

علم النفس علم قديم من حيث محاولة فهم النفس الإنسانية، وما يعتريها من رضا أو غضب أو حزن، وهو حديث من حيث تحديد مفاهيمه واستخدامه لبعض الوسائل المعملية.

فيذكر المؤرخون لعلم النفس أن أول من خاض في النفس البشرية وأحوالها فلاسفة اليونان القدامى أمثال: أفلاطون وأرسطو.

---

(1) انظر المرجع السابق (ص20).

ومن ثم نشأ علم النفس في أحضان الفلسفة، وكان الفلاسفة هم علماء النفس حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي [1] حيث بدأ الانفصال الحقيقي بين الفلسفة وعلم النفس، عندما افتتح فونت معهدا في جامعة ليبرغ عام (1879م) فأعطى من خلال تجاربه لعلم النفس صفة العلم التجريبي [2].

وحاصل الأمر أن علم النفس مر بمراحل متعددة وهي:

المرحلة الأولى: الروح.

المرحلة الثانية: النفس.

المرحلة الثالثة: العقل.

المرحلة الرابعة: الشعور والإحساس.

المرحلة الخامسة: اللاشعور والعقل الباطن [3].

المرحلة السادسة: السلوك الظاهري.

حتى لقد عبر أحد علماء النفس وهو وودورث عن هذه التطورات لعلم النفس فقال: لقد فقد علم النفس روحه، ثم فقد عقله، ثم فقد حسه، ثم فقد شعوره، ثم فقد لا شعوره، ثم لم يبق منه إلا السلوك الظاهري [4].

---

(1) انظر: تاريخ علم النفس (ص9) تأليف الدكتور وريس روكلان، ترجمة علي زيعور، وعلي مقلد، منشورات عويدات، بيروت لبنان طبعة 1972م.

(2) انظر: بحوث في علم النفس (ص13، 14).

(3) في المعجم الفلسفي (264/2) تأليف الدكتور جميل صليبا دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الأولى 1973 م " واللاشعور، مجموع الأحوال النفسية الباطنية التي تؤثر على سلوك المرء، وإن كانت غير مشعور بها " .

وانظر: كتاب العقل الباطن، تأليف سادلر، ونقله إلى العربية عباس حافظ.

(4) انظر: علم النفس في التصور الإسلامي (ص18) للدكتور عبد الحميد الهاشمي.

ويقول الدكتور فائز الحاج: والواقع أن علم النفس لم يصبح علمًا إلا حين أصبح تجريبيًا وأول ما استعمل التجريب في علم النفس استعمل في تحليله الخبرة الشعورية [1].

المهم أنه في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بدأ الانفصال الحقيقي بين الفلسفة وعلم النفس، وصار لعلم النفس دوائر مستقلة، ومختبرات وجمعيات، ومجلات خاصة، وأصبح له أخصائيون يشغل بعضهم في المختبرات لدراسة السلوك والإحساس والإدراك والتعلم والتذكر ووضع الجداول والمقاييس، وبعضهم يشتغل في العيادات لدراسة المرضى ومحاولة دراسة النفس البشرية والأحلام والرغبات.

ولما كان من الصعوبة إجراء التجارب على الإنسان، وتعذرها في بعض الأحيان، اتجه علماء النفس إلى الحيوانات لسهولة إجراء التجربة عليها.

فيقول الدكتور فائز الحاج: فإذا ذكرنا سهولة التجريب على الحيوان، قدرنا الخدمات التي أدتها وتؤديها دراسة الحيوان لدراسة الإنسان، وهكذا كان لعلم النفس الحيواني أثره في علم النفس الإنساني، كما كانت له خدماته[2].

وكان من أوائل الذين أجروا التجارب على الحيوانات دارون وما نتائج تجاربه وأبحاثه بخافية على كل ذي عقل [3].

---

(1) بحوث في علم النفس (ص13).
(2) المرجع السابق (ص15).
(3) انظر: مناقشة هذه النظرية في كتاب محمد قطب الإنسان بين المادية والإسلام.

ولم يقف علم النفس عند هذا الحد، بل اتسع أكثر فأكثر، فاهتم بدراسة المرضى والعصبيين والمتخلفين، ونظرية فرويد التي سوف نتعرض لها بشيء من التفصيل كانت نتيجة تجاريه على هذه الطبقة من الناس.

وأيا كانت التجارب التي قام بها علماء النفس والنتائج التي توصلوا إليها فهي لا تعدو تجارب قوم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، طبقوا ما توصلوا إليه بعقولهم القاصرة على مجتمعات كافرة، تحكمها وتسيرها المادة والعقائد الباطلة.

وهذا الذي استقر عليه علم النفس هو الذي انتقل فيما بعد إلى الجامعات العربية والإسلامية.

يقول الدكتور محمد عثمان نجاتي: إن علم النفس الذي يدرس الآن في الجامعات العربية والإسلامية؛ إنما هو مستمد من الغرب، وهو يعتمد في وصفه للإنسان، وفي الحقائق التي يذكرها عنه علي نتائج البحوث التي أجريت، في الأغلب في مجتمعات غربية غير إسلامية، لها تصورها الخاص عن الإنسان، ولها فلسفتها الخاصة في الحياة، ولها ثقافتها ومعاييرها وقيمها الخاصة بها، ولا شك في أن لهذه العوامل تأثيرًا كبيرًا في توجيه الدراسات النفسية التي تجري في المجتمعات، في الأغلب، إلى دراسة موضوعات تتفق مع ما لديها من تصور عن طبيعة الإنسان، ورسالته في الحياة، وغايته منها، وما هو سائد فيها من ثقافة ومعايير وقيم وفلسفة للحياة وغايته منها، فاهتمام فرويد مثلا بالغريزة الجنسية في دراسته لأسباب الأمراض النفسية إنما يرجع في الأغلب إلى ثقافة العصر الذي عاش فيه.

ويلاحظ كذلك في المجتمعات الغربية التي غلبت عليها الاتجاهات المادية في الحياة، والتي ابتعدت عن الاهتمام بالنواحي الروحية الدينية، قد اتجهت فيها الدراسات النفسية إلى الموضوعات التي تتعلق بالنواحي المادية والاجتماعية من السلوك الإنساني، وأغفلت دراسة النواحي الروحية وتأثيرها في السلوك، ويلاحظ أيضًا أن علماء النفس المحدثين، تمشيًا مع الاتجاه المادي الذي يغلب على فلسفتهم في الحياة، يهملون دراسة أثر الدين والإيمان والنواحي الروحية في الصحة النفسية.

ويلاحظ كذلك أنهم في أساليبهم المختلفة في العلاج النفسي لا يهتمون بتصحيح الناحية الدينية في المريض النفسي.

يتضح من هذه الأمثلة القليلة التي ذكرتها سابقًا أن علم النفس الحديث الذي نشأ في البلاد الغربية غير الإسلامية، قد لا تتفق بعض مفاهيمه مع تصورنا الإسلامي للإنسان، ولذلك فنحن في حاجة إلى إعادة النظر في كثير من هذه المفاهيم، ومناقشتها على ضوء التصور الإسلامي للإنسان وإدخال بعض ا لتعديلات أو التغييرات فيها بحيث تصبح متفقة، أو على الأقل غير متعارضة مع مفاهيمنا الإسلامية [1].

ويقول الأستاذ محمد قطب: إن العلوم البحتة والتجريبية التي تخضع خضوعًا كاملاً للتجربة المعملية يطرأ عليها التغيير والنقص والتبديل، وإلغاء معلومات كان ينظر إليها بالأمس على أنها حقائق نهائية، فإذا كان الأمر كذلك فأولى بنا إذا أن نكون أكثر احتراسًا ونحن نتلقى نظريات علم النفس، وينبغي

(1) الحديث النبوي وعلم النفس (ص7-9).

ألا تأخذنا العزة بالإثم، فنقول إن كذا و كذا حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل والنقاش [1].

ولا تنكر تلك الجهود التي يقوم بها بعض علماء النفس من المسلمين، في إخراج علم نفس إسلامي، ولكن يؤخذ على بعض هؤلاء القصور في العلم الشرعي مما يجعلهم ينقلون كل ما عند علماء النفس الغربيين دون تمحيص، بل على أنه مسلمات مع أنه يحتوي في بعض جوانبه على أخطاء عقدية.

ويؤخذ أيضًا على هؤلاء الذين يحاولون تقريب علم النفس للإسلام، أنهم يستشهدون بأقوال الفارابي وابن سينا والغزالي على أنهم يمثلون الاتجاه الإسلامي مع أن هؤلاء لهم أقوال منكرة، وخاصة في أمور العقيدة، وقد ناقش شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله آراءهم في كثير من كتبه.

لذلك فنصيحتي لعلماء النفس من المسلمين أن يأخذوا من المصدر الأصيل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يتطرق إليه شك، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ثم الاستشهاد بأقوال وفهم العلماء الربانيين من سلف هذه الأمة الصالح، فهذا هو الطريق الصحيح لمن أراد إخراج علم نفس ينطلق من المنهج الشرعي.

المسألة الثالثة: مصادر المعرفة عند علماء النفس

اتضح لنا مما سبق أن علماء النفس قد ألزموا أنفسهم بدراسة الظواهر النفسية التي يمكن ملاحظتها أو قياسها أو إخضاعها للبحث التجريبي، أما

(1) الإنسان بين المادية والإسلام (ص19) محمد قطب.

الظواهر النفسية والروحية التي لا يمكن ملاحظتها أو قياسها أو إخضاعها للبحث التجريبي فقد استبعدوها عن دائرة البحث في علم النفس.

فعلم النفس ينحو منحى ماديًا في تفسيره للمعرفة، فالمعرفة الحسية هي الأساس الذي يعتمد عليها علماء النفس، ولا يتعرضون في موضوع التعلم، واكتساب المعرفة إلى العلم الذي يحصل عليه الإنسان عن طريق الوحي أو الإلهام أو الرؤيا الصادقة [1].

وسبب هذا الانحراف في مفهوم المعرفة هو انحرافهم في الإيمان بالله عز وجل والإيمان بالوحي وما يتبعه من الرؤيا الصادقة، بل وإنكارهم أيضًا لتأثير الشياطين في الإنسان [2].

فإذا كانت الرؤى ثلاثة أقسام:

رؤيا من الله، رؤيا من الشيطان، ورؤيا من حديث النفس.

فإن علماء النفس في نظرياتهم للرؤى استبعدوا القسمين الأولين، وانحصرت بحوثهم وتجاربهم ونظرياتهم في القسم الثالث: وأما القسمان الأولان فلهم فيهما تفسيرات مادية [3].

---

(1) انظر: كتاب الحديث النبوي و علم النفس (ص207-208) للدكتور محمد عثمان نجاتي

(2) انظر: الرد على من ينكر دخول الجني في الإنسي في كتاب زاد المعاد لابن القيم رحمه الله (67/4) وكتاب إيضاح الحق في دخول الجن في الإنس والرد على من أنكر ذلك لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

(3) انظر: الحديث النبوي وعلم النفس (ص208).

وقد قدم علم النفس عدة نظريات لتفسير الرؤى والأحلام، وكلها تدور حول أحاديث النفس في النوم، والاختلاف بين هذه النظريات هو في تفسير أسباب هذه الأحلام، ولهم في ذلك تفسيران.

الأول: أحلام نفسية، بمعنى أن هذه الأحلام صور وأفكار تداعى بعضها وراء بعض، دون اتصال بمؤثر حسي إطلاقًا فهي تشبه خواطر اليقظة وتستمد وجودها من ذكريات الماضي وتجاربه.

الثاني: أحلام حسية بمعنى أن الأحلام تتضمن صورًا عقلية أدت إليها مؤثرات موجودة بالفعل تقع على الحس الظاهر، أو الباطن عند النائم، ولكن النائم أدركها على غير وجهها.

ولكل نوع أنصاره ومؤيدوه، وإن جمع جمهرة من علماء النفس بين الاتجاهين [1].

وسوف أناقش إن شاء الله نظرية واحدة لكل اتجاه، وبقية النظريات التي قدمها علماء النفس تدور حول هذه التفسيرات، والرد عليها ومناقشتها، يقال فيه ما يقال في كل نظرية من هذه النظريات.

ففي الاتجاه الأول: نظرية التحليل النفسي.

والاتجاه الثاني: نظرية التنبيهات الخارجية.

---

(1) انظر: كتاب الأحلام للدكتور توفيق الطويل (ص70-71) وحول صلة علم النفس بالرؤى انظر كتاب: دليل الحيران في تفسير الأحلام، لمحمد علي قطب (ص24).

المبحث الأول

نظرية التحليل النفسي، ومناقشتها

وفيه مسألتان.

المسألة الأولى: نظرية التحليل النفسي

مؤسس هذه النظرية هو سيجموند فرويد[1]، وقد كان لنظرياته في علم النفس أثر خطير، لم يقف عند حد المباحث النفسية والتربية والتعليم، بل تعداها إلى كثير من نواحي النشاط الإنساني.

وخلاصة نظريته في الرؤى والأحلام - والتي هي جزء من نظريته العامة[2] يرى أن الأحلام والرؤى لا تتنبأ بالمستقبل، فهو ينكر الرؤيا الصادقة، بل يرى أن جميع الرؤى تكشف عن صراعات جنسية مكبوته.

وقد أجرى تجاربه هذه على الشواذ، وبين أن عذره في ذلك هو عدم استطاعته تفسير أحلام الأصحاء، وعلى هذا أجري ملاحظاته في ظروف تفتقر

---

(1) سيجموند فرويد (1856-1939م) يهودي الأصل، ولد في فرايبرج بالمجر، حصل على وظيفة محاضر في الأمراض العصبية بجامعة فينا، وعاش معظم حياته فيها، ولكنه هرب إلى لندن حينما حكم النازي لبلاده انظر ترجمته وآراءه في: موسوعة الفلسفة (2/122-125).

(2) حيث يفسر جميع أنواع السلوك البشري تفسيرًا جنسيًا فيرى أن هنالك ميولا ورغبات كامنة في أعماق النفس لا يشعر بها الإنسان ولكنها تؤثر في حياته دون أن يشعر بها سماها فرويد اللاشعور، ولكنه حصر تلك الميول والرغبات في رغبة الجنس.

وانظر: المدخل إلى علم النفس، تأليف الدكتور عبد الله بن عبد الحي موسى (ص21)، وكتاب الإنسان بين المادية والإسلام محمد قطب (ص19)، وعلم النفس في التصور الإسلامي للأستاذ عبد الحميد الهاشمي (ص16).

إلى عوامل الضبط، بل على أناس مرضى دون محاولة التيقن من صحة ما توصل إليه [1].

وقد أثرت هذه النظرية أثرًا كبيرًا في علم النفس وخاصة في الطب النفسي.

على أن هناك من رواد هذه النظرية وبعضهم من تلاميذ فرويد، لم يوافقوه في كثير من تحليلاته.

فيرى أدلر [2] وهو من المعاصرين لفرويد وكذلك يونج [3] أن الجنس وحده ليس هو كل شيء، فأكد أهمية جميع الدوافع والغرائز الأخرى [4].

---

(1) انظر: كتاب الأحلام لفرويد، عرض وتقديم الدكتور مصطفى غالب، دار مكتبة الهلال، بيروت 1980م، ونظرية الأحلام والحلم تأويله كلاهما لفرويد، ترجمة جورج طرابيشي وكتاب محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي (ص76-268) ألفها فرويد، ترجمها الدكتور أحمد عزت راجح، الطبعة الثالثة 1966م وكتاب مقدمة التحليل النفسي لفرويد، ترجمة إسحاق رمزي، دار المعارف بمصر، وكتاب معالم التحليل النفسي لفرويد، ترجمة الدكتور محمد عثمان نجاتي، دار الشروق الطبعة السابعة 1408هـ (ص74-83).

(2) أدلر (1879-1937م) حصل على إجازة الطب عام 1895م في أمراض العيون ثم أصبح طبيبًا نفسيًا، وكان رئيسا لجمعية فينا للتحليل النفسي، وبعد ذلك انتقل إلى أمريكا وأصبح أستاذًا لعلم النفس الطبي.
انظر ترجمته وآراءه في: موسوعة الفلسفة (1/94-96) للدكتور عبد الرحمن بدوي.

(3) يونج (1876-1961م) حصل على إجازة الطب، وعمل طبيبًا نفسيًا في مستشفى "يورجرلزي " العقلية بزيورخ، وبعد ذلك عمل في عيادات نفسية.
وانظر ترجمته وآراءه في: موسوعة الفلسفة (2/642-645) للدكتور عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى (1984م).

(4) انظر: علم النفس، للدكتور محمد أبو العلا أحمد والدكتور محمد خليفة بركات (ص151، 152).

وعلى هذا فوجهات نظر علماء التحليل النفسي بشأن الرؤى والأحلام، أن منهم من يعزو الأحلام إلى دوافع جنسية، وهذا رأي مؤسس النظرية، ومنهم من يعزوها إلى دوافع أخرى، وجميعهم ينكر الرؤيا الصادقة والرؤيا التي من الشيطان.

المسألة الثانية: مناقشة هذه النظرية

هذه النظرية باطلة من وجوه متعددة في أساس نظرتها للإنسان، وفي إغفالها لجوانب متعددة من الرؤى.

يقول الأستاذ محمد قطب: **النقد الأول**: الذي ينبغي أن يوجه إلى هذه النظرية، هو في أساس نظرتها إلى الإنسان على أنه كائن أرضي بحت، لا يرتفع بمشاعره، وعواطفه عن العالم الأرضي إلا في حالات الشذوذ [1].

وهذا أول ما يعاب عليه من تحقير الإنسان وتصويره على أنه مجموعة من الغرائز والشهوات، وسبب هذه النظرة المادية للإنسان هو ما أشار إليه الأستاذ محمد قطب من أن فرويد قد تأثر بدارون في نظرته الحيوانية المادية للإنسان [2].

يقول الأستاذ محمد قطب أيضًا: تبين لي بعد كتابة هذا الكتاب - يعني كتاب الإنسان بين المادية والإسلام - بسنوات أن المسألة لم تكن مجرد تأثر

---

(1) الإنسان بين المادية والإسلام (ص19) دار الشروق الطبعة الثامنة (1403هـ).

(2) المرجع السابق (ص19-24) وانظر: كتاب دليل الحيران في تفسير الأحلام (ص3) تأليف محمد علي قطب.

علمي بدارون، وإنما كان استغلالا مقصودًا لنظريته، من أجل إفساد البشرية[1].

والنقد الثاني: الذي يوجه إلى هذه النظرية أنها تجعل الرؤى نوعًا واحدًا فقط، وهذا يعني أنها تغفل جوانب أخرى للرؤيا دلت الأدلة الشرعية على إثباتها، وهي الرؤيا الصادقة، والرؤيا التي تكون من تهاويل الشيطان.

وسبب هذه النظرية القاصرة هو عدم إيمانهم بالمغيبات وتأثير الشيطان في الإنسان، وعدم إيمانهم بالروح.

يقول الأستاذ محمد قطب مناقشًا هذه النظرية وزعيمها فرويد اليهودي: فهو يذهب إلى أبعد مدى في نظريته في تفسير الأحلام، فينكر كل حقيقة خارجة عن نطاق الأرض، بل عن نطاق الإنسان ذاته في حيز المحدود، فهو ينفي نفيًا تامًا ما نسميه الأحلام التنبئية، لأنها قائمة على أساس الروح، وعلى أساس صلة هذه الروح بالعالم الأكبر، وبالغيب المجهول.

ثم يواصل الأستاذ محمد قطب مناقشته لهذه النظرية قائلا:

فما من شك في أن الجمهرة الغالبة من أحلام الناس، هي تنفس عن أشياء مكبوته، أو تعبير عن رغبة منتهاه، كما يفسرها فرويد بحق، وتبقى بعد ذلك

---

(1) المرجع السابق (ص26) وانظر: كتاب التطور والثبات فصل اليهود الثلاثة للأستاذ محمد قطب.

وانظر: مناقشة فرويد بشيء من التفصيل في كتاب الإنسان بين المادية والإسلام، (ص19-46) وكتاب الفرد والمجتمع وكتاب الجريمة والعقاب، وكتاب المشكلة الجنسية، وكتاب القيم العليا، وكتاب جاهلية القرن العشرين (ص84، 85) كلها للأستاذ محمد قطب.

قلة ضئيلة من الأحلام لا يمكن أن تفسر على هذا الأساس، ولا يمكن بغير تمحل ولا التواء أن تفسر إلا على أساس الاعتراف بصلة ما خفية دقيقة بين هذا الكائن البشري والكون الكبير والغيب المجهول.

وهناك حقيقتان أساسيتان في هذا المجال:

الأولى: أن قلة عدد هذه الأحلام لا ينفي وجودها، ولا يبرر إسقاطها من الحساب، فلم يقل أشد الروحانيين روحانية، إن كل أحلام الناس تنبئية، بل قالوا: إنها القلة التي يراها الإنسان وهو صافي الروح، ولكن واحدًا منها يكفي لإثبات هذه الحقيقة النفسية الفذة، فكيف وهي ليست واحدة فقط، بل مئات وألوف يشهد بهذا الواقع الشخصي لكثير من الناس.

والحقيقة الثانية: هي أن عدم وصول العلم حتى اليوم إلى تفسير هذه الصلة الخفية الدقيقة التي تربط الإنسان بالكون الكبير والغيب المجهول، لا تعني حتمًا هذه الصلة غير موجودة، وكل ما تعنيه أن العلم لم يصل إليها بعد.

ليس إصرار فرويد إذن على نفي العامل الروحي من حياة البشرية مستندًا إلى واقع علمي ثابت، وإنما هو تفسير ناشئ من تأثرات خاصة لا شأن للعلم بها، وليس فرضًا علينا نحن المسلمين خاصة، أن نؤمن بها، ونتلقفها على أنها آيات من التنزيل [1].

---

(1) الإنسان بين المادية والإسلام (ص36) وانظر: نقد هذه النظرية أيضًا في كتاب علم النفس في التصور الإسلامي (ص17) للدكتور عبد الحميد الهاشمي، وفي ظلال القرآن لسيد قطب (1972/4).

المبحث الثاني

نظرية التنبيهات الخارجية، ومناقشتها

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: نظرية التنبيهات الخارجية

يرى بعض علماء النفس أن الرؤى والأحلام تنشأ عن تنبيهات حسية خارجية ويتوقف مضمون الحلم على طبيعة هذه التنبيهات فقالوا: بأن الحواس لا تتعطل عن أداء وظيفتها أثناء النوم، فالعين عندهم فيها إحساسات بصرية باطنية، وقالوا: يشهد لهذا قدرة العين على التمييز بين النور والظلام أثناء النوم، ومن هذه الاحساسات ينشأ الكثير من أحلامنا. فإذا أضاءت أمام النائم شمعة فجأة تحول الضوء في حلمه إلى حريق، يتبعه صراخ وعويل، يعقبه إقبال رجال المطافئ، يليه رجال الإسعاف إلخ.

وما قيل في العين ينسحب على الأذن واللمس لأن لها إحساسات باطنية.

وبعضهم قال: إن الأحلام قد تكون نتيجة لمؤثرات بدنية عضوية في الباطن فقالوا: إن الإنسان لا يكاد يشعر بأعضاء جسمه الداخلية، متى كان سليمًا معافى، ففسروا الأحلام المزعجة نتيجة لأمراض داخلية.

وهكذا صور بعض علماء النفس أثر المؤثرات الحسية الظاهرة والباطنة التي تصاحب النوم في تكوين الأحلام وتشكيلها [1].

---

(1) انظر: كتاب الأحلام (ص71-74) للدكتور توفيق الطويل، مكتبة الأدب، الطبعة الأولى 1364هـ وكتاب الرؤى والأحلام في ميزان الإسلام (ص14) تأليف خالد بن علي بن محمد، مكتبة الصفحات الذهبية، الرياض، الطبعة الأولى (1049هـ).

المسألة الثانية: مناقشة هذه النظرية

تناقش هذه النظرية بما ناقشنا به النظرية السابقة بما يلي:

أولاً: النظرة القاصرة للإنسان، وأنه عبارة عن جانب مادي فقط، والتنكر للجانب الروحي فيه، وهذا ما جعلهم يتخبطون تخبطًا عشوائيًا.

ثانيًا: قصورها على نوع واحد من الرؤى، وإغفالها لجوانب متعددة من الرؤى دلت الأدلة الشرعية عليها.

ثالثًا: أننا لا ننكر أن بعض الرؤى قد تكون كما جاء في الحديث، أنها أحاديث نفس، لكننا لا نسلم بهذه التفسيرات التي لا دليل عليها، وهذا حكم بغير برهان، وهل كل الرؤى التي يراها الإنسان تأتي نتيجة لهذه الأسباب، فلا شك أن القول بهذه النظرية وحصر الأحلام في هذه الأسباب قول باطل.

رابعًا: تنكرها للجانب الغيبي وما يتعلق بالرؤيا من الله، والرؤيا من الشيطان.

والحق يقال إن ثمة تخبطًا في الآراء التي قدمها علماء النفس، بل والحيرة التي يدورون فيها، فجاءت تفسيراتهم قاصرة، بل وبعضها غير مقبولة شرعًا وعقلاً وحسًا، ولا يخفي أن كثيرًا من معارف علم النفس إن هي إلا مجموعة أفكار ظنية.

ولا عجب فهي أفكار قوم لم يستنيروا بالكتاب والسنة، فضلوا في هذا الباب كما ضلوا في غيره.

الفصل الثاني
مذهب الصوفية في الرؤى
والرد عليهم

وفيه تمهيد ومبحثان:

تمهيد: تعريف علم الصوفية

المبحث الأول: مذهب الصوفية في الرؤى.

المبحث الثاني: الرد على شبهاتهم في الرؤى.

تمهيد

تعريف الصوفية

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: أصل التسمية.

المسألة الثانية: التصوف اصطلاحًا.

المسألة الثالثة: نشأة التصوف وأطواره.

المسألة الرابعة: وسائل المعرفة عند الصوفية.

المسألة الخامسة: كيفية اكتساب هذه المعرفة الصوفية.

المسألة الأولى: أصل التسمية

عند التأمل في أقوال العلماء نجد أنهم يختلفون في المعنى الذي نسب إليه الصوفية أنفسهم، حتى الصوفية أنفسهم يختلفون في ذلك، وأهم هذه الأقوال[1].

(أ) قيل إنهم ينتسبون إلى رجل يقال له صوفه واسمه: الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، كان قد انقطع للعبادة في المسجد الحرام فانتسب إليه الصوفية لمشابهتهم إياه[2].

---

(1) انظر هذه الأقوال في: التعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر محمد الكلاباذي، (ص2-34) تحقيق: محمود أمين النواوي الطبعة الثانية 1400 هـ مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة وكتاب قواعد التصوف لابن زروق (ص293) الطبعة الثانية مكتبة الكليات الأزهرية وكتاب التصوف المنشأ والمصادر، تأليف إحسان إلهي ظهير، (ص20-35) الناشر دار ترجمان السنة الطبعة الأولى 1406 هـ وكتاب التجانية للدكتور علي بن محمد دخيل الله (ص21).

(2) انظر تلبيس إبليس (ص199-200) ولسان العرب (200/9).

ومال إلى هذا القول الإمام ابن الجوزي رحمه الله فإنه حكاه أولا، وحكى بعده أقوالا عديدة ثم قال: "والصحيح الأول" [1].

لكن ضعف شيخ الإسلام ابن تيمية هذا القول، حيث قال: "وهذا وإن كان موافقًا للنسب من جهة اللفظ، فإنه ضعيف أيضًا، لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك.

ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى[2].

ب– قيل: إنهم منسوبون إلى أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ لما بينهم وبين الصوفية من التشابه في الانقطاع عن الدنيا والتفرغ للعبادة.

لكن هذه النسبة غير صحيحة من جهة اللغة، لأنه لو نسبوا إلى أهل الصفة لقيل صفي[3].

كما أنها غير صحيحة من الناحية الشرعية، فأهل الصفة أغلبهم من الصحابة الذين لم يكونوا قاعدين عن العمل وإنما كانوا ضيوفًا على النبي ﷺ وأصحابه، وإن لم يتمكن بعضهم من الكسب والزواج، ثم الزهاد الأولون في القرن الأول لم يطلق عليهم اسم متصوف، والمتصوفة سموا بذلك بعد ما ظهرت البدع [4].

---

(1) تلبيس إبليس (ص201).

(2) الصوفية والفقراء رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى له (11/ 6، 7).

(3) انظر: الرسالة (ص126) للقشيري، والتعرف لمذهب أهل التصوف، (ص29) وتلبيس إبليس (ص201) ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (6/11).

(4) انظر: رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية، الصوفية والفقراء، المطبوعة ضمن مجموع الفتاوى (38/11-45) وتلبيس إبليس (ص201).

ج- وقيل إنها مأخوذة من الصفاء، والمعنى هنا صفاء القلب والروح والخلق، وصفاء السلوك العام فهم يزعمون أن الصوفية أكثر الناس صفاء [1].

ومال إلى هذا القول أبو نعيم الأصبهاني [2] حيث قال مرجحًا بعد ذكر الخلاف اشتقاقه عند أهل الإشارات والمنبئين عنه بالعبارات: من الصفاء والوفاء[3].

وفي ذلك يقول أبو الفتح البستي [4].

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا
فيه وظنوه مشتقًا من الصوف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى
صافى فصوفي حتى سمي الصوفي[5]

ولكن رد القشيري[6] هذا الرأي بقوله: "ومن قال: إنه من الصفاء،

---

(1) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (ص28).

(2) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (336-430)هـ ولد بأصبهان حافظ مؤرخ قال عنه ابن الجوزي: سمع كثيرًا وألف كثيرًا وكان يميل إلى مذهب الأشعري كثيرًا، من أشهر مصنفاته حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ودلائل النبوة والمستخرج على الصحيحين.
انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (17/ 453-464) والبداية والنهاية (48/12، 49).

(3) حلية الأولياء (17/1) دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الثانية 1400 هـ.

(4) هو علي بن محمد بن الحسين بن يوسف البستي (360-401هـ) ولد في بست قرب سجستان وإليها نسب كاتب وأديب وشاعر.
انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (147/17، 148) والبداية والنهاية (368/11) ومعجم المؤلفين (186/7).

(5) انظر: قواعد التصوف (7) لابن زروق وتحقيق ما للهند من مقولة (25).

(6) هو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري (376، 465هـ) كانت إقامته بنيسابور، من أهم كتبه الرسالة القشيرية والتي رد عليها شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الاستقامة، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
انظر ترجمته في طبقات الشافعية (243/3-248) وتاريخ بغداد (83/11).

فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة [1].

(د) قيل: إنهم منسوبون إلى الصف المقدم بين يدي الله عز وجل، بارتفاع هممهم إليه، وإقبالهم عليه [2].

لكن هذه النسبة غير مستقيمة من جهة اللغة فإنهم لو نسبوا إلى الصف لقيل صفي [3].

(هـ) وقيل نسبة إلى الصفوة من خلق الله، وهذا غير مستقيم أيضًا من جهة اللغة لأنه لو كان كذلك لقيل صفوي [4].

ويلزم منه أيضًا تفضيل الصوفية على ملائكته، ورسله، وأكابر الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين الذين لم ينتسبوا إلى الصوفية.

و- ذكر البيروني [5] أنهم ينتسبون إلى الصوفية الحكماء، القائلين بالوحدة، وأن الصوفية أول من تكلم بالوحدة في الإسلام فسموا باسمهم [6].

---

(1) الرسالة القشيرية (ص126).

(2) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر الكلاباذي (ص28، 29) والرسالة القشيرية (ص126).

(3) انظر: الرسالة القشيرية (ص126) ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (6/11).

(4) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (6/11).

(5) هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (362-440هـ) فيلسوف رياضي، مؤرخ، من أهل خوارزم أقام في الهند مدة، له مصنفات منها: الآثار الباقية من القرون الخالية، والتفهيم لصناعة التنجيم، وتحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة انظر ترجمته في: معجم المؤلفين (241/8، 242) والأعلام (205/6).

(6) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (ص24، 25) و(ص51، 66) كطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية.

وهذا يدل على أن التصوف ديانة وثنية قديمة قبل الإسلام [1].

(ز) وقيل إنه نسبة إلى لبس الصوف، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ومال إليه ابن خلدون [2] في مقدمته، بل ورجحه كثير من المؤلفين الأوائل من المتصوفة كالسراج الطوسي [3] وغيره وقالوا بأنهم نسبوا إلى الصوف لعدة اعتبارات منها:

1- لأن شعارهم في اللباس الصوف، وهذا غالبًا.

2- ولأن الصوف يدل على الزهد والورع والتنسك، وهذا عند المتقدمين من الصوفية.

3- ولأنه موافق للغة [4].

وبهذا يكون هذا التعريف هو الأقرب في الدلالة اللغوية والمعنوية.

---

(1) ذكر زكي مبارك هذا القول عن جماعة من المستشرقين ورده، انظر: كتاب التصوف الإسلامي (52/1) دار الجيل لبنان.
وانظر هذا القول أيضًا في كتاب: أبحاث في التصوف، للدكتور عبد الحليم محمود (ص153) والتصوف المنشأ والمصدر (ص32، 33) تأليف إحسان إلهي ظهير.

(2) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون التونسي الحضرمي الأشبيلي المالكي (732-808هـ) أديب مؤرخ اجتماعي ولد ونشأ وتعلم في تونس، وتولى القضاء في مصر.
انظر ترجمته في شذرات الذهب (76/7، 77) والأعلام للزركلي (330/3).

(3) هو أبو نصر السراج، عبد الله بن علي الطوسي (توفي سنة 378هـ) شيخ الصوفية يلقب بطاووس الفقراء من أشهر كتبه اللمع في التصوف الذي يعد أقدم مرجع صوفي.
انظر ترجمته في: مرآة الجنان (408/2) لليافعي، وشذرات الذهب (91/3) لابن العماد ومعجم المؤلفين (89/6) والأعلام (104/4).

(4) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (6/11) ومقدمة ابن خلدون (295-299) وكتاب اللمع (ص20) وعوارف المعارف (66/5) المطبوع بذيل إحياء علوم الدين.

وهذا الاختلاف في أصل لفظة التصوف واشتقاقها اضطر القشيري إلى أن يقول: وليس لهذا الاسم؛ من حيث العربية قياس، ولا اشتقاق، والأظهر فيه أنه كاللقب [1].

وهذا معناه أن الصوفية يوصدون الباب حتى أمام من يسألهم عن معنى اسمهم! !

المسألة الثانية: التصوف اصطلاحًا

كما اختلف في أصل التصوف واشتقاقه، اختلف في تعريفه، وسبب هذا ما مر به التصوف من مراحل وتغيرات، حيث كان في أوله زهدا في الدنيا وانقطاعا لعبادة الله عز وجل، ثم صار حركات ومظاهر خالية من العبادة، ثم صار إلحادًا وخروجا عن دين الله، ولهذا تعددت الأقوال في تعريف التصوف حتى أوصلها بعضهم إلي الألفين [2].

فالمتقدمون من الصوفية يعرفون التصوف بتعاريف تدور حول تجريد العمل لله والزهد في الدنيا وترك الشهوة والميل إلى التواضع والخمول [3].

---

(1) الرسالة القشيرية (ص126).

(2) انظر: اللمع (ص37) والتعرف لمذهب أهل التصوف (ص28) وعوارف المعارف (65/5) المطبوع بذيل إحياء علوم الدين، وإيقاظ الهمم في شرح الحكم (4/1، 5) تأليف ابن عجيبة وقواعد التصوف (ص3).

(3) انظر: الرسالة القشيرية (127) وعوارف المعارف (63/5) واللمع (25).
وكتاب الصوفية المنشأ والمصدر تأليف إحسان إلهي ظهير (36-39) والتجانية للدكتور علي بن محمد الدخيل الله (18-20).

أما بقية المراحل للتصوف فلا أستطيع أن أعطي لها تعريفًا عامًا ،لأنه في كل مرحلة من مراحله كان له معنى. فمن الزهد والانقطاع عن الدنيا إلى نوع اللباس والأوراد والأذكار والسماع والبدع، ثم بعد ذلك كان إلحادًا وخروجًا عن دين الله.

كما يقول أحد كبار الصوفية وهو الواسطي [1] كان للقوم إشارات ثم صارت حركات، ثم لم يبق إلا الحسرات [2].

والحاصل أن التصوف يختلف تعريفه بحسب المرحلة التاريخية التي مر بها، وحاصل أمره أن مصطلح الصوفية لم يرد لا في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ بل هو مصطلح في جملته علامة على الباطل والبدع والخرافات.

المسألة الثالثة: نشأة التصوف وأطواره

اختلف العلماء في نشأة التصوف، كما اختلفوا في أصله وتعريفه، فقال ابن خلدون: إن نشأته كانت في القرن الثاني عندما أقبل الناس على الدنيا، وانصرف أناس للزهد والعبادة فسموا بالصوفية [3].

وذهب إلى هذا ابن الجوزي رحمه الله [4] وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى أن نشأة التصوف كانت في أوائل القرن الثاني، وأنه لم يكن مشهورًا إلا بعد القرن الثالث [5].

---

(1) هو أبو بكر، محمد بن موسى الواسطي (توفي سنة 320هـ) من أصحاب الجنيد انظر ترجمته في طبقات الصوفية (ص302).

(2) الرسالة القشيرية (555/2).

(3) مقدمة ابن خلدون (ص467).

(4) انظر: تلبيس إبليس (ص201).

(5) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (5/11-7).

والصوفية أنفسهم مختلفون في نشأة التصوف وظهوره، فيرى أبو نصر السراج الطوسي أن أول نشأة التصوف كانت في الجاهلية قبل الإسلام [1]، بينما يقول القشيري أن هذا الاسم اشتهر قبل المائتين من الهجرة [2].

وسبق الإشارة إلى قول البيروني أن أصل التصوف ديانة قديمة معروفة لدى الهنود واليونان القدماء، جاءت وتغلغلت في الإسلام باسم الزنادقة فالزنادقة هم الذين أدخلوها في الإسلام باسم التصوف وباسم الزهد والتعبد، وقد ربط البيروني بين أقوال الصوفية وأقوال النصارى [3].

وقال بعض العلماء إن أول من أسس التصوف هم الشيعة [4].

وحاصل الأقوال أن الجميع متفقون على حداثة الاسم، وعدم وجوده في عهد الرسول ﷺ وأصحابه والسلف الصالح.

وقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الأطوار التي مر بها التصوف، وحاصلها.

الطور الأول: نزعة الزهد والورع والمبالغة في ذلك مع فقه في الدين، وهذا الطور كان من نهاية القرن الأول إلى منتصف القرن الثاني.

وهذه المظاهر وجدت عند بعض التابعين، لكن لم يكن يصحبها شيء من الانحراف، لا في العقائد ولا في السلوك، إنما كان تشديدًا على النفس.

وحينما نتذكر هذا الطور، لا نقول بأنه الأصل في التصوف، لكن المتصوفة

---

(1) انظر: اللمع (ص22).
(2) انظر: الرسالة القشيرية (ص6، 7).
(3) انظر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (ص24، 25).
(4) انظر كتاب التنبيه والرد للملطي، وكتاب التصوف والمنشأ والمصدر (ص137-275).

اتخذوه تكأة وزعموا أن منهم الصحابة والتابعين، لأنهم أخذوا أمثلة من التابعين ممن كانوا يشددون على أنفسهم وزعموا أنهم قدوة لهم، وهناك بعض نزعات السلوك عند بعض التابعين أظهرها الصوفية بشكل أكبر مثل شدة البكاء، والصعق عند سماع القرآن، وهذه اتكأ عليها الصوفية واتخذوها مسلكًا وطريقة.

ولذلك أرخ كثير من المؤرخين للتصوف بهذه المرحلة، وهذا خطأ، لأن المتصوفة الذين بدؤوا التصوف البدعي انتسبوا إلى زهاد التابعين وليسوا امتدادا لهم.

فينبغي عندما نؤرخ للصوفية أن نستبعد جميع الزهاد في القرن الأول الهجري.

الطور الثاني: ظهور النزعات الفردية، وتاريخ هذا الطور من منتصف القرن الثاني إلى القرن الثالث.

فظهر قوم يتعبدون بأذواقهم وأهوائهم دون استناد إلى أصول شرعية.

الطور الثالث: تحول الصوفية إلى اتجاهات وطرق، وبداية ظهور المؤثرات الخارجية من اليهودية والنصرانية والمجوس والديانات الهندية وغيرها.

وهذه مرحلة الغموض والمصطلحات، وكانت هي الطريقة إلى الخروج إلى عالم الإلحاد وهذا الطور في القرن الرابع.

الطور الرابع: ظهور التصوف الغالي، وامتزاج التصوف بالباطنيين، وهذا الطور الذي استقرت الصوفية بدأ تقريبًا من منتصف القرن الرابع، فبدأت الطرق والمشيخة، وامتزاج الصوفية بالإلحاد والحلول ووحدة الوجود

وبهذا صارت الصوفية مسالك شتى لا ينظمها عقيدة واحدة ولا اتجاه واحد لا في العبادة ولا في السلوك، وإنما يجمعها وصف الطريقة [1].

المسألة الرابعة: وسائل المعرفة عند الصوفية

من أهم القضايا التي تميز أهل السنة و الجماعة عن الصوفية هي مصدر التلقي والمعرفة.

فالصوفية لا يلقون من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بل إن استدلوا بالكتاب والسنة أولوا معانيهما إلى معان باطلة يزعمون أنها الحق.

وقالوا: إن للشريعة ظاهرا وباطنا علم الشريعة وعلم الحقيقة ولأنهم يعتقدون أن للشريعة ظاهرًا وباطنًا، كان من أئمة الصوفية أناس عوام لا يعرفون الكتاب والسنة [2].

فالحاصل أن ما هم عليه من معتقدات، لم يأخذوها من الكتاب والسنة، بل زعموا أنهم استفادوا ذلك من العلم اللدني، أي من الله مباشرة أي العلم الإلهي كما يدعون.

وحاصل مصادر المعرفة عندهم أكثر من أربعة عشر مصدرًا، من أشهرها

---

(1) انظر: تاريخ التصوف بشكل مفصل مع ذكر الأسماء والمؤلفات في التصوف في تلبيس إبليس (ص199-205) ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (5/11، 6، 18، 29، 195) وكتاب الصفدية (267/1) حيث ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله طبقات الصوفية وحكم كل طبقة.

(2) مثل على الخواص الذي أخذ عن شيخه الشعراني درة الغواص، وكذلك ألف أحمد بن المبارك السلجماني كتابه الإبريز عن شيخه عبد العزيز الدباغ وهو رجل عامي.

1- رؤية النبي ﷺ في اليقظة، والاستمداد منه.

2- الالتقاء بالخضر والاستمداد منه: ومن ذلك الزعم بأنه حي.

3- الإلهام الذي يسمونه العلم اللدني وهو ما يحصل من العلوم في القلب من غير استدلال ولا نظر.

4- الفراسة، وهي تختص بمعرفة خواطر النفوس، وأحاديثها، وما يضمره المرء في قلبه، فالولي عندهم أعطي من النور ما يعرف به كوامن النفوس.

5- الهواتف: ومعناه سماع حكايات بواسطة الأذن، وقد يكون منامًا يسمع الصوت ولا يرى صاحبه.

6- الإسراءات والمعاريج: ويعنون بها عروج روح الولي إلى العالم العلوي، وإتيانها بشيء من أسرار الكون.

7- الكشف: ومعناه معرفة حقائق الوجود، بارتفاع الحجب الحسية عن القلب.

8- الرؤى والمنامات: وسوف يأتي تعريفها عند الصوفية.

9- الذوق، ويعنون به: نورًا يقذفه الله في قلوب الأولياء يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره.

10- الوجد: وهو ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف.

11- تلقي المريد عن الشيخ[1]:

ولهذا يقسم الصوفية المعرفة إلى مستويات مختلفة، ويجعلون ما هم عليه أعلى مستويات المعرفة.

---

(1) انظر هذه المصادر في: كتاب الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، للدكتور عبد الرحمن عبد الخالق (ص37) وانظر كذلك نظرتهم للكتاب والسنة (ص61، 62) ومصطلحات الصوفية لعبد المنعم الحفني.

فيقسم ابن عربي[1] المعرفة إلى ثلاثة أصناف، كما يلي:

1- علم العقل: وهو كل علم يحصل بالضرورة أو عقب نظر في دليل.

2- علم الأحوال: ولا سبيل إليه إلا بالذوق وليس إلى إيجاده أو الإقامة على معرفته دليل.

3- علم الأسرار: وهو العلم الذي فوق أطوار العقل، وهو علم نفث روح القدس ويختص بالنبي أو الولي [2].

أما الغزالي [3] فيقسم المعرفة إلى ثلاثة أقسام:

1- المعرفة الحسية: هي المدركة بالحس بوسائله المختلفة عن طريق التجربة المشاهدة، وهي معرفة غير ثابتة وغير يقينية وبالتالي، فالثقة فيها باطلة؛ لأن حاكم العقل يكذبها.

---

(1) هو محي الدين، أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي (560-638هـ) نزيل دمشق، من القائلين بوحدة الوجود، ويلقب عند الصوفية بالشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر، قال عنه عز الدين بن عبد السلام: شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجًا.
انظر ترجمته وما قيل فيه وفي كتبه في تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي المسمى بمصرع التصوف، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، للفاسي (163/2، 164) وسير أعلام النبلاء (48/23، 49) وميزان الاعتدال (281/6، 282) ولسان الميزان (311/5-315) ونفح الطيب (361/2-384) وطبقات الشعراني (163/1) وشرح العقيدة الطحاوية (744,745/2) تحقيق د. التركي وشعيب.

(2) انظر: الفتوحات المكية (31/1).

(3) أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي (450-505هـ) فيلسوف متصوف لقب بالغزالي، لأن والده كان يغزل الصوف ويبيعه في مكانه بطوس بخراسان انظر: تبيين كذب المفتري (ص291-306) وشذرات الذهب (10/4-13) وكتاب أبو حامد والتصوف، لعبد الرحمن دمشقية.

2- المعرفة العقلية: وهي أيضًا معرفة غير ثابت وغير يقينية.

3- المعرفة الإشراقية: وهي نور يقذفه الله في الصدر، وهو مفتاح أكثر المعارف، وهذه المعرفة هي العلم اليقيني الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافًا لا يبقى معه ريب، ولا يقارفه إمكان الغلط والوهم، وهو طريق الصوفية[1].

وهذا الطريق هو الذي اختاره الغزالي بقوله: وما ارتضيه آخرًا من طريق التصوف [2].

ويرون أن هذه المعرفة ثابتة يقينية لا يتطرق إليها الشك والغلط.

وأنها تؤخذ مباشرة من الله بلا واسطة ملك أو نبي، بل هو نور يقذفه الله في قلب من شاء [3].

ولهذا يقول الغزالي: سئل بعض العلماء عن علم الباطن ما هو؟ فقال: هو سر من أسرار الله يقذفه الله تعالى في قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكًا ولا بشرًا.

ويقول كان أبو يزيد وغيره يقول: ليس العالم الذي يحفظ من كتاب، فإذا نسي صار جاهلاً إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس [4].

ويقول ابن عربي: العلماء بالله لا يأخذون من العلوم إلا العلم الموهوب، وهو العلم اللدني، علم الخضر وأمثاله، وهو العلم الذي لا تعمل لهم فيه بخاطر أصلا حتى لا يشوبه شيء من كدورات الكسب [5].

---

(1) انظر: المنقذ من الضلال (ص75-129).
(2) المصدر السابق (ص80).
(3) انظر: روضة الطالبين وعدة السالكين للغزالي (ص43).
(4) إحياء علوم الدين للغزالي (1380/2، 1381).
(5) الفتوحات المكية (582/1).

وقال أيضًا: ثم إن من شأن عالم الرسوم في الذب عن نفسه أن يجهل من يقول فهمني ربي، ويرى أنه أفضل منه، وأنه صاحب العلم، إذ يقول من هو أهل الله، إن الله ألقى في سري مراده بهذا الحكم في هذه الآية، أو يقول رأيت رسول الله ﷺ في واقعتي فأعلمني بصحة هذا الخبر المروي عنه وبحكمه عنده، قال أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه في هذا المقام وصحته يخاطب علماء الرسوم:

أخذتم علمكم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت. يقول أمثالنا: حدثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون حدثني فلان وأين هو؟

قالوا: مات عن فلان، وأين هو؟ قالوا: مات.

وكان الشيخ أبو مدين رحمه الله إذا قيل له قال فلان عن فلان عن فلان يقول: ما نريد نأكل قديدًا هاتوا ائتوني بلحم طري، يرفع همم أصحابه، هذا قول فلان أي شيء قلت، أنت ما خصك الله به من عطاياه من علمه اللدني، أي حدثوا عن ربكم واتركوا فلانا وفلانًا، فإن أولئك أكلوه لحمًا طريًا والواهب لم يمت، وهو أقرب إليكم من حبل الوريد [1].

وهذا الكلام وأمثاله، وأيم الله إنه الذي أرداهم إلى الحضيض فضلوا الصراط المستقيم.

المسألة الخامسة: كيفية اكتساب المعرفة الصوفية

ما ذكروه من الباطل والهذيان في وسائل المعرفة عندهم أخذوا يبررون اكتسابهم لهذه المعرفة بباطل آخر.

---

(1) الفتوحات المكية (280/1).

فقالوا: إن العلم الذي له تعلق بالقراءة والكتابة هو من شأن علم العوام دون الخواص.

أما علمهم، فلا يمكن تعلمه ولا شرحه ولا الاستدلال عليه، وإما هي حالة يعيشها السالك فحسب، ومن أراد أن يصل إليها، فعليه أن يأخذ نفسه بآداب الطريقة وتعاليمها حتى يكون أهلا للعلم اللدني[1].

ولهذا يذكر الغزالي أن القلب مستعد لأن تتجلى فيه حقيقة الحق ومعرفة علوم اللوح المحفوظ الذي نقش فيه جميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة، وإنما يحول دون القلب من الحجب ما يمنع تحقيق هذه المعرفة، لكن قد تهب رياح الألطاف فتكشف الحجب عن أعين القلوب، فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ، ويكون ذلك تارة في المنام، فيعلم به ما يكون في المستقبل، وفي اليقظة، فيرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى، فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم، تارة كالبرق من الخاطف، وأخرى كالتوالي إلى حد ما، ودوامه غاية الندور.

ويدعي الغزالي أيضًا، أن الطرق إلى العلم اللدني لا يكون عن طريق تحصيل العلم، والنظر في المصنفات، والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة بل عن طريق المجاهدة، ومحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها، والاستعداد بالتصفية المجردة، وقطع الهمة عن الأهل والمال والد والوطن، وعن العلم والولاية والجاه، بل حتى يصير قلبه إلى حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمه، ثم يخلو بنفسه في زاوية في خلوة [2].

(1) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (ص87).
(2) انظر: إحياء علوم الدين (18/3، 19، 76).

وفي هذه الخلوة يقتصر السالك على الفرائض والرواتب، ويجلس فارغ القلب مجموع الهم، غير مفرق فكره بقراءة القرآن !! ولا بالتأمل في تفسيره!! ولا بالنظر في كتب الحديث !! ولا غير ذلك بل يجتهد ألا يخطر بباله شيء سوى الله فلا يزال إلى حالة يترك فيها تحريك اللسان، ويرى كأن الكلمة تجري على لسانه ثم يمحي أثرها على اللسان، فيواظب على الذكر بقلبه حتى يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة، حتى يبقى معنى الكلمة حاجزًا في قلبه ملازمًا له لا يفارقه فيصير متعرضًا لرحمة الله، منتظرًا ما يفتح الله به من الرحمة، كما فتحها على الأنبياء والأولياء [1].

فالحاصل أن علوم الصوفية تستفاد من غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بل يرون أن الاشتغال بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ يتعارض مع مصالح الناس.

ولا شك أن من اعتقد أن لأحد طريقًا إلى الله لا يحتاج فيه إلى كتاب الله ولا إلى هدي رسوله ﷺ فهو كافر زنديق.

وبذلك يتبين أن الخلاف بيننا وبين الصوفية ليس خلاف المولد وكيفية الذكر وأنواع الأوراد والتوسل الذي أطالوا وأطنبوا فيه، وليس في تعريف البدعة بل الخلاف بيننا وبين دين الصوفية، خلاف بين الإسلام وبين ديانة وثنية فلسفية خلاف في الربوبية والألوهية؛ ولهذا يجعلون هناك من يتصرف في الكون من دون الله، لمن يسمونهم بالأولياء، وهذا شرك أكبر، ولم يكتفوا بصرف الألوهية لهؤلاء، بل صرفوها للزنادقة والدجالين وللكهان.

---

(1) إحياء علوم الدين (19/3، 20) وانظر: الرسالة اللدنية (ص113، 118) ونظرية الاتصال عند الصوفية (ص176-199) في بيان العلم اللدني عند الصوفية.

ولهذا يقولون في حلق الذكر عندهم. عبد القادر يا جيلاني [1] يا مصرف الأكوان نعوذ بالله من شركهم، فإذا كان هذا الجيلاني متصرف في الأكـــوان فماذا بقي لله سبحانه؟ !

بل يذكرون أن منهم من يخاطب الله ويراه في الدنيا ويأخذ عنه الحـــلال والحرام.

لذلك فإن معرفة منهج الصوفية في المعرفة هو من أهم الردود علـــيهم، ولهذا فصلت في ذلك ليكون منطلقا للرد عليهم في غلوهم في الرؤى.

(1) هو عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله (471-561هـــ) شيخ الطريقة القادرية، من مؤلفاته: فتوح الغيب، والغنية لطالب طريق الحق، وينسب له أشياء كثيرة لا تصح عنه كما قال الذهبي رحمه الله.
انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (20/439-451) وطبقات الشعراني (1/126-132).

المبحث الأول

مذهب الصوفية في الرؤى

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الصوفية للرؤيا.

المسألة الثانية: مكانة الرؤى عند الصوفية.

المسألة الثالثة: الأمور التي يستمدونها من الرؤى.

المسألة الرابعة: شبهاتهم في جعل الرؤى مصدرًا للتلقي والمعرفة.

المسألة الأولى: تعريف الصوفية للرؤيا

هو شبيه بتعريف الفلاسفة الذي ذكرته سابقًا، فلهم في الرؤيا تعاريف متعددة بحسب مراتبهم في الضلال والانحراف، ومن تعاريف المنحرفين منهم ما يلي:

منهم من يعرفها بأن النفس من عالم المجردات [1] والمعقولات، فهي تستطيع أن تدرك المدركات المجردة التي تكون من جنسها إذا لم يشغلها شاغل من علائق البدن، فإذا قويت بالفضائل الروحانية، وضعف سلطان القوى البدنية، اتصلت النفس بأبيها المقدس وبالنفوس الفلكية، وتلقت عنها المغيبات في نومها، كما يقع لها في يقظتها [2].

---

(1) المجردات: جمع مجرد وهو عند المتكلمين الممكن الذي لا يكون متحيزًا ولا حالا في متحيز ويسمى فارقًا، المعجم الفلسفي (ص347) تأليف جميل صليبا.

(2) انظر: هياكل النور للسهروردي (ص43، 44) تحقيق: الدكتور محمد علي أبو ريان.

ومنهم من يرى أن تلك الصور تقع في القلب من اللوح المحفوظ في حالة النوم كما تقع الصورة من مرآة أخرى إذا ارتفع الحجاب بينهما [1].

وذهب القائلون بوحدة الوجود من الصوفية إلى أن الرؤيا لا تهبط من خارج وإنما تصدر من باطن النفس، فالوجود حقيقة واحدة عندهم [2].

المسألة الثانية: مكانة الرؤى عند الصوفية

الرؤى والمنامات مصدر مهم عند الصوفية للمعرفة والتلقي بل هي مصدر يقيني لا يتطرق إليه الشك أو الغلط [3]، فهم يبنون عليها كثيرًا من عقائدهم الباطلة ويستندون عليها في ترويج ضلالاتهم ومعرفة الحلال والحرام عندهم وتفسير آيات القرآن الكريم وتصحيح وتضعيف الأحاديث، ونسج الفضائل والمناقب لشيوخهم وغير ذلك.

وأكثر ما يصرحون بالتلقي عنه منامًا الله سبحانه وتعالى أو النبي ﷺ أو من شيوخهم ومريديهم أو من الصحابة الكرام، أو غيرهم.

ومن قرأ كتبهم المعتمدة عندهم تبين له ما نسجوه من قصص وحكايات في شأن المنامات وأهميتها عندهم كمصدر مهم للمعرفة والتلقي.

---

(1) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (537/4) وانظر علاقة هذا القول بقول الفلاسفة في التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة (ص46، 47) وتاريخ الفلسفة اليونانية (ص57).

(2) انظر: فصوص الحكم لابن عربي (ص136-137) والفتوحات المكية له (494/2).

(3) انظر: الفتوحات المكية (380/1).

ومن دلائل عنايتهم بالمنامات: أنهم عقدوا لها أبوابًا في مصنفاتهم، كالقشيري في رسالته [1] والكلاباذي [2] في كتابه التعرف لمذهب أهل التصوف [3]، والدباغ في كتابه الإبريز [4]، وغيرها، وساقوا تحتها جملة من الحكايات والمنامات.

ومما جاء من عباراتهم في العمل بالرؤى والمنامات، قول أحمد بن إدريس: من رأى النبي ﷺ فقد رآه حقًا وإن كان على غير صورته، وإذا أمره أو نهاه عن نهي، فإن كان في الصورة المنعوت بها ﷺ فما أمره به في النوم كأمره في اليقظة، وأنه يتبع، وكذلك ما نهى عنه.. [5].

وقال ابن عربي: "المبشرات، وهي جزء من أجزاء النبوة فإما أن تكون من الله إليه، أو من الله على يدي بعض عباده إليه، وهي الرؤيا يراها الرجل المسلم، أو ترى له، فإن جاءته من الله في رؤيا على يدي رسوله ﷺ فإن كان حكمًا تعبد نفسه به ولا بد، بشرط أن يرى الرسول ﷺ على الصورة الجسدية التي كان عليها في الدنيا، كما نقل إليه من الوجه الذي صح عنده... إلى أن قال: لو رآه على صورته فيلزمه الأخذ به، ولا يلزم غيره ذلك.. [6].

---

(1) انظر: الرسالة القشيرية (ص175-180).

(2) الكلاباذي: هو أبو بكر محمد بن إسحاق ويقال ابن إبراهيم البخاري الكلاباذي المتوفى (380) من أشهر كتبه: التعرف لمذهب أهل التصوف.
انظر ترجمته في معجم المؤلفين (222/8) والأعلام (184/6).

(3) انظر: التعرف (ص181-184).

(4) انظر: الإبريز (ص80-103).

(5) سعادة الدارين (ص469).

(6) الفتوحات المكية (27/4، 28).

وذكر الكلاباذي أن محمد بن علي الكتاني كانت عادته أن يرى النبي ﷺ منامًا ويسأله عن مسائل، فيجيبه فيها [1].

ومن الأدلة على اعتمادهم على الرؤى والمنامات أنهم وضعوا لها صيغًا وأدعية، وصلوات، نصوا على أنها من الأسباب الجالبة لتحصيل الرؤى المنامية، وغالبها تتعلق برؤية النبي ﷺ فقد ذكر النبهاني في كتابه سعادة الدارين أربعين فائدة ما بين صلوات وأدعية ومجربات لتحصيل الرؤى المنامية [2] غالبهًا تتعلق برؤية النبي ص فمن ذلك:

من أراد أن يرى الله منامًا، أو النبي ص منامًا، أو يرى مترلته في الجنة، فليصل على النبي ﷺ يوم الجمعة ألف مرة بهذه الصيغة (اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي) [3].

كما أن هذه الصيغة تفيد رؤية النبي ﷺ منامًا والخضر عليه السلام وهي: «اللهم إني أسألك باسمك الأعظم، المكتوب من نور وجهك الأعلى! ! المؤبد الدائم، الباقي المخلد في قلب نبيك ورسولك محمد ﷺ»[4].

وقال أبو المواهب الشاذلي: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي: قل عند النوم «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم» خمسًا، ثم قل: «اللهم بحق محمد أرني محمدًا ﷺ حالا ومالا فإذا قلتها عند النوم فإني آتيك ولا أتخلف عنك أصلا»[5].

---

(1) انظر: التعرف (ص181، 182).
(2) انظر: سعادة الدارين (ص484، 493).
(3) المرجع السابق (ص488).
(4) المرجع السابق (ص491).
(5) طبقات الشعراني (73/2).

ومن المجربات أيضًا، كتابة اسمه تعالى الودود، في خرقة من حرير أبيض، ويكتب معه، محمد رسول الله، خمسًا وثلاثين مرة، والحمد لله، خمسًا وثلاثين مرة، بعد صلاة الجمعة، وإدامة النظر إلى هذه الكتابة كل يوم عند طلوع الشمس، مع الصلاة على النبي ﷺ [1].

ومن أسباب احتجاب الرسول ﷺ عن الرائي منامًا، إخلال الأدب مع العلماء والأئمة وحضور مجالس الغيبة، واطلاع الناس على الأسرار الممنوعة للخواص [2].

ونحو ذلك من الحكايات والخرافات التي ينسجونها لترويج ضلالتهم، والتي يدرك بطلانها السذج من الناس، والله المستعان.

المسألة الثالثة: الأمور التي يستمدونها من الرؤى

يستمد الصوفية عن الرؤى والمنامات أمورًا كثيرة، منها:

أولا: تصحيح عقائدهم الباطلة:

ومن أمثلة ذلك:

أن ابن عربي زعم أنه ألف كتابه الكفري فصوص الحكم بإذن النبي ﷺ في المنام [3].

---

(1) انظر: سعادة الدارين (ص493).
(2) انظر: طبقات الشعراني (75/1).
(3) انظر: فصوص الحكم (17/1).

وأكثر كتبه تحريف لما أنزل الله في كتابه المترلة، وعكس وضد لما قاله أنبياؤه [1].

وقال في هذا الكتاب: ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن فرآها قد كملت إلا موضع لبنة، فكان ﷺ موضع اللبنة، وأنا خاتم الأولياء، فلا بد له من هذه الرؤيا، فيرى ما مثله به رسول الله ﷺ ويرى الحائط موضع لبنتين واللبنة من ذهب وفضة، فيرى اللبنتين تنقص الحائط عنهما، وتكمل بهما لبنة الذهب ولبنة الفضة، فلا بد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تلك اللبنتين، فيكون خاتم النبيين والأولياء وتلك اللبنتين فيكمل الحائط [2].

ومن أمثلة ذلك:

قول أبي المواهب الشاذلي: رأيت رسول الله ﷺ فقال لي: إذا كانت لك حاجة وأردت قضاءها فانذر لنفيسة[3] الطاهرة ولو فلسًا، فإن حاجتك

---

(1) وقد ذكر في هذا الكتاب أن إبليس وفرعون من العارفين الناجين ، وهما في الجنة، عياذا بالله وأن فرعون كان أعلم من موسى بالله، وأن كل من عبد شيئًا فما عبد إلا الله، عياذًا بالله قال الذهبي رحمه الله عن هذا الكتاب: ومن أردأ تواليفه كتاب "الفصوص" فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة، فواغوثاه بالله سير أعلام النبلاء (48/23).

(2) فصوص الحكم (63/1).

(3) هي نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، صاحبة المشهد المعروف بمصر (145-208هـ) تقية صالحة عالمة بالتفسير والحديث، سمع عليها الإمام الشافعي، توفيت بالقاهرة قال ابن كثير رحمه الله عنها: وإلى الآن قد بالغ العامة في اعتقادهم فيها، وفي غيرها كثيرًا جدًا ولا سيما عوام مصر، فإنهم يطلقون فيها عبارات بشعة مجازفة تؤدي إلى الكفر والشرك، وألفاظًا كثيرة ينبغي أن يعرفوا أنها لا تجوز... والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلها من النساء الصالحات، وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها، وقد أمر النبي ﷺ بتسوية القبور وطمسها، والمغالاة في البشر الحرام.
وانظر ترجمتها في سير أعلام النبلاء (106/10، 107) والبداية والنهاية (273/10، 274).

تقضي[1].

(1) طبقات الشعراني (74/2).

وساق الحصني[1] قصته عن رجل من أهل طرابلس كان في مركب قادمًا من الإسكندرية فهاج البحر وأشرف من في المركب على الهلاك، فقال لهم ذلك الرجل: استعينوا برسول الله ﷺ. فعملوا، فنام رجل منهم مشهور بالصلاح، فرأى النبي ﷺ وهو يقول له: انج وابشروا بالسلامة [2].

ثانيًا: تصحيح أقوال الصوفية ورسومهم:

ومن أمثلة ذلك:

قول الجنيد [3]: رأيت في المنام كأني واقف بين يدي الله تعالى، فقال لي: يا أبا القاسم، من أين لك هذا الكلام الذي تقول ، فقلت: لا أقول إلا حقا. فقال: صدقت.. [4].

وقال أبو المواهب الشاذلي: رأيت رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله إني متطفل في علم التصوف، فقال ﷺ: اقرأ كلام القوم؛ فإن المتطفل على هذا العلم هو الولي، وأما العالم به فهو النجم الذي لا يدرك [5].

---

(1) هو أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حَرِيز (752-829) ونسبته إلى الحصين من قرى حوران، وهو من أعداء شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد ألف في الرد عليه كتاب دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد.
انظر ترجمته في الضوء اللامع (81/11) وشذرات الذهب (188/7، 189)

(2) دفع شبه من شبه وتمرد (91) دار الكتب العربية مصر الطبعة الأولى 1350 هـ.

(3) الجنيد: هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، توفي 279 وقيل توفي سنة 298، أصل أبيه من نهاوند، والجنيد إمام الصوفية، ويقال له: سيد الطائفة.
انظر ترجمته وأقواله في طبقات الصوفية (155-163)، الطبقات الكبرى (72/1-74) شذرات الذهب (228/2-230).

(4) الرسالة القشيرية (180).

(5) طبقات الشعراني (75/2).

ومن أكاذيبهم ومن تلاعب الشيطان بهم ما زعموه من تأييد النبي ﷺ لكتاب الإحياء، وما ينسجونه من العقوبات لمن أنكر على كتبهم وعقائدهم.

فذكر اليافعي أنه رأى النبي ﷺ في المنام فناوله كتاب الإحياء، فتصفحه ورقة ورقة من أوله إلى آخره ثم قال: والله إن هذا الشيء حسن، ثم ناوله الصديق ثم ناوله الفاروق فأثنيا عليه، وأمر النبي ﷺ بتجريد الفقيه علي بن حرزهم الذي أمر بإحراق كتاب الإحياء عن القميص وأن يضرب ويحد حد المفتري فجرد وضرب إلى آخر هذه الفرية [1].

ومن ذلك قول الساوي أنه رأى النبي ﷺ عليه زي أهل التصوف، وقرأ عليه قواعد العقائد الذي صنفه الغزالي، فأذن له في القراءة فقرأ عليه الكتاب[2].

ثالثًا: تفسير بعض آي الكتاب العزيز:

قال ابن عربي: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقلت: قوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور: 35]: ما هذه الشجرة؟ فقال: كنى عن

---

(1) انظر: تعريف الأحياء بفضائل الإحياء (3/5، 4) ملحق بالإحياء، دار المعرفة، وطبقات السبكي (131/4، 132).

(2) انظر: طبقات السبكي (116) وتبيين كذب المفتري (297-299) وفصل قواعد العقائد من كتاب الإحياء (125/1-148) دار الفكر.

نفسه سبحانه، ولذلك نفى عنها الجهات، فإنه لا يتقيد بالجهات، والغـــرب

والشرق: كناية عن الفرع والأصل؛ فهو الله، فالق المواد وأصلها، ولولا هو ما كانت المادة [1].

وزعم أبو الحسن الشاذلي [2] أنه علم معنى قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: 4] لرؤيا رآها ورسول الله ﷺ يقول له: يا علي، طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل دهر، فقلت: يا رسول الله، وما ثيابي؟ فقال: اعلم أن الله تعالى قد خلع عليك خمس خلع، خلعة المحبة وخلعة المعرفة، وخلعة التوحيد، وخلعة الإيمان، وخلعة الإسلام، ومن أحب الله هان عليه كل شيء، ومن عرف الله صغر في عينيه كل شيء، ومن وحد الله لم يشرك به شيئًا، ومن آمن بالله أمن من كل شيء، ومن أسلم لله لم يعصه، وإن عصاه يعتذر إليه، وإن اعتذر إليه قبل عذره.

قال الشاذلي بعد هذا القول: ففهمت عند ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [3].

رابعًا: التمييز بين صحيح الأحاديث وضعيفها:

قال أبو المواهب الشاذلي: رأيت رسول الله ﷺ فسألته عن الحديث المشهور: «**اذكروا الله حتى يقولوا مجنون**». وفي صحيح ابن حبان: «**أكثروا من**

---

(1) سعادة الدارين (477).

(2) هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار (593-656هـ) شيخ الطريقة الشاذلية.
انظر ترجمته في طبقات الشعراني (2/4 - 12) وطبقات الشاذلية الكبرى (15-50).

(3) الإرشاد والتطريز (127).

ذكر الله حتى يقولوا مجنون»[1]. فقال ﷺ: صدق ابن حبان في روايته، وصدق راوي (اذكروا الله)؛ فإني قلتهما معا مرة قلت هذا وقلت هذا [2].

وقد يسألونه ﷺ عما أشكل عليهم في معاني الأحاديث، كما قال أبو الحسن الشاذلي: سمعت الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ: «**إنه ليغان** [3] **على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة**» [4] فأشكل عليَّ معناه، فرأيت رسول الله ﷺ وهو يقول لي: يا مبارك، ذلك غين الأنوار، لا غين الأغيار[5].

خامسًا: الأدعية والأذكار.

ومن أمثلة ذلك:

قال ابن عربي: رأيت في النوم كأن الله يناديني ويقول لي: يا عبدي إن أردت أن تكون عندي مقربًا مكرمًا فأكثر من قول: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 143].

---

(1) الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (169/12) بلفظ "اذكروا الله ذكرًا يقول المنافقون إنكم تراءون" وفيه الحسن بن أبي جعفر الجفري وهو ضعيف، مجمع الزوائد (76/10) واللفظ الآخر للحديث وهو (أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا مجنون) أخرجه أحمد في مسنده (68/3، 71) والحاكم في مسنده (4998) وابن حبان (131/2) وابن عدي في الضعفاء (980/3). والحديث ضعيف لجميع طرقه، لا يثبت منه شيء، وانظر التفصيل والكلام فيه في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني (9/2، 10).

(2) طبقات الشعراني (75/2، 76).

(3) ليغان: يتغشى، وانظر: شرح صحيح مسلم للنووي (23/17).

(4) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه (23/17) بشرح النووي.

(5) لطائف المنن (161).

كرر ذلك على مرات[1].

وقال أبو بكر الكتاني: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله ادع الله لي ألا يميت قلبي. فقال: قل في كل يوم أربعين مرة، يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت [2].

وزعم أبو المواهب الشاذلي أن النبي ﷺ قال له: وما أحسن ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: 1] لو كانت وردك بالليل، ويكون دعاؤك «اللهم فرج كربتنا اللهم أقل عثرتنا اللهم اغفر زلتنا». وتصلي عليَّ وتقول: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: 181، 182].

وادعى محمد صالح الجعفري الإدريسي أن من منة الله عليه أن الرسول ﷺ أجازه في المنام بالصلاة العظيمية؛ قال قلت له ﷺ: أصلي عليك بهذه الصيغة، وكنت قد ختمتها وهو يسمعني، فقال لي بها وبغيرها، فاعتبرت هذه أعظم إجازة عندي دلت على فضل هذه الصيغة، وعلى فضل صاحبها[3].

سادسًا: تعظيم مشايخهم وذكر الفضائل والمناقب لهم:

والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا؛ فكثير ممن كتبوا في تراجم الصوفية ذكروا في تراجم شيوخهم أنهم رأوا الرسول ﷺ وأثنى عليهم، وربما زعموا أيضًا رؤية النبي ﷺ وإنكاره على مخالفيهم؛ فمن ذلك:

---

(1) سعادة الدارين (476).
(2) الرسالة القشيرية (177) وطبقات الشعراني (110/1).
(3) انظر: المنتقى النفيس (201).

زعم أبو الحسن الشاذلي أنه رأى النبي ﷺ في النوم، وقد باهى موسى وعيسى عليهما السلام بالإمام الغزالي، وقال: أفي أمتكما حبر كهذا؟ قالا: لا[1].

وقال أبو المواهب الشاذلي: رأيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، لا تدعني. فقال: لا ندعك حتى ترد على الكوثر وتشرب منه [2].

وقال: رأيت رسول الله ﷺ فقال لي: أنت تشفع لمائة ألف. قلت له: بم استوجبت ذلك يا رسول الله؟ قال: بإعطائك لي ثواب الصلاة علي [3].

وقال أيضًا: تفل رسول الله ﷺ في فمي فقلت: يا رسول الله، ما فائدة هذا التفل؟ فقال: لا تتفل بعدها على مريض إلا ويبرأ [4].

وجاء في ترجمة أبي الحسن الهاملي أنه رأى في المنام رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر، فأمرهما رسول الله ﷺ أن يقبلا رأس أبي الحسن، ففعلا، وكان رسول الله ﷺ يدور حوله وهو قائم، والفقيه قاعد!! وهو ﷺ يقول: أنا أحب هذا، أنا أحب هذا. حتى كاد أن يرتمي عليه [5].

وفي ترجمة أبي بكر محمد بن عمران أن أحد الناس رأى النبي ﷺ يقول: من قبَّل قدم الفقيه أبي بكر دخل الجنة [6].

---

(1) انظر: تعريف الأحياء بفضائل الإحياء ملحق بكتاب الإحياء (9/5) دار المعرفة.
(2) طبقات الشعراني (71/2).
(3) المرجع السابق (72/2).
(4) المرجع السابق (75/2).
(5) طبقات الخواص (88).
(6) المرجع السابق (175).

وقال محمد بن عثمان الميرغني[1]: لما يسر الله لي الفتح بتفسير القرآن رأيت في تلك الليلة المصطفى ﷺ في محفل من الرسل الكرام، وهو يقول: الأنبياء كلهم نقطة من نوري، والأولياء من نورك يا ختم. ثم قال لي رسول الله ﷺ: يا ابني، ما قام بأمر الله في المؤمنين أحد بعدي مثلك، شكر الله سعيك. فقلت: كيف يا رسول الله؟ قال: تعبت في باقي المؤمنين ونصحتهم، ما تعب فيهم أحد بعدي مثلك. فقلت له: أرضاك ذلك؟ فقال: أرضاني، وأرضى الله من فوق سبع سمواته وعرشه وحجبه ! ! ثم نادى: يا رضوان عمِّر جنانا ومساكن لابني محمد بن عثمان وأتباعه وصحبه، وأتباع أتباعه إلى يوم القيامة. وقال: يا مالك. فَحَضر. قال: عمِّر في النار مواضع ومساكن لأعداء ابني محمد بن عثمان[2].

وزعم أحمد الرفاعي أن الله خاطبه في المنام بقوله: ما تريد يا أحمد؟ فقال: أريد ما تريده. قال الله: لك المراد، ولك أعطي كل يوم مائة حاجة مقضية[3].

وزعم علي بن وهب السنجاري أنه رأى الله في المنام فقال له: يا عبدي قد جعلتك من صوفتي في أرضي وأيَّدتك في جميع أقوالك بروح مني، وأقمتك

---

(1) ولد بمكة سنة 1208 هـ تلقى الطريقة الميرغنية والطريقة الشاذلية، وأسس في النهاية طريقة خاصة به عرفت بالطريقة الختمية توفي سنة (1268 هـ).
انظر: ما قيل فيه وفي طريقته في كتاب طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها للدكتور أحمد محمد جلي.

(2) الرسائل المرغنية (116).

(3) طبقات الشعراني (69/2).

رحمة لخلقي، فاخرج إليهم واحكم فيهم بما علمتك من حكمي وأظهر لهم بما أيدتك به من آيتي[1].

سابعًا: ومن الأشياء المستمدة من الرؤى عند الصوفية الأحكام الشرعية ومعرفة الراجح من مسائل الخلاف:

زعم ابن عربي أنه رأى النبي ﷺ منامًا فسأله عن الرجل يقول لامرأته: أنت طالق ثلاثًا. ولم يكن طلقها، هل هي ثلاث كما قال، أو ترجع إلى واحدة، فقال ﷺ: هي ثلاث كما قال. قال ابن عربي: قلت: فقد حكم بعض العلماء بأنها ترجع إلى واحدة، فقال: أولئك حكموا بما وصل إليهم وأصابوا. فقلت: يا رسول الله ما أريد في هذه المسألة إلا ما تدين الله أنت به. فقال ﷺ: ثلاث كما قال لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره[2].

وقال أيضًا: رأيت وأنا بمكة سنة تسع وتسعين وخمس مائة في النوم أبا بكر الصديق رضي الله عنه فسألته: أين حد المسجد الحرام الذي تكون الصلاة فيه بمائة ألف، هل هو الحرم كله، أو المسجد المعروف وحده؟ فقال: لا أقول هو الحرم كله، ولا أقول هو المسجد وحده؛ ولكني أقول: كل موضع في الحرم توقع الصلاة فيه فهو مسجد، وهو في الحرم، فهو في المسجد الحرام، والصلاة فيه بمائة ألف صلاة، هكذا هو عندنا ثم استيقظت [3].

---

(1) طبقات الشعراني (139/1).
(2) سعادة الدارين (477).
(3) المرجع السابق (474، 475).

وقال أحمد التجاني[1]: كنت أحرج وأشدد غاية في الماء المتغير من أثر الوضوء، بل ولا أتوضأ منه، حتى رأيته ﷺ يتوضأ في إناء، وكان الماء متغيرًا من أثر الوضوء، فقال لي: أنا محمد رسول الله فمن ذلك تركت التحرج[2].

المسألة الرابعة: شبهاتهم في جعل الرؤى مصدرًا للتلقي والمعرفة

يستدل بعض الصوفية في احتجاجهم بالرؤى ببعض الأدلة، والتي يوجهونها ويلوون أعناقهم لتصحيح ما هم عليه من باطل؛ فمن ذلك [3]:

أولا: قالوا: إن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة، فلا ينبغي أن تهمل.

ثانيًا: أن النبي ﷺ قال: «**من رآني في المنام فقد رآني حقًا؛ فإن الشيطان لا يتمثل بي**»[4] وإذا كان كذلك فإخباره في النوم كإخباره في اليقظة؛ لأن الشيطان لا يتمثل بالنبي ﷺ.

---

(1) هو أحمد بن محمد بن المختار (1150-1230) هـ شيخ الطريقة التجانية.
انظر ترجمته في جواهر الأماني وبلوغ الأماني، وكتاب التجانية للدكتور على الدخيل الله (40-56).

(2) جواهر المعاني (47/1)، وانظر المزيد من الأمثلة والتي نقلها الأخ صادق سليم صادق في رسالته بعنوان: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضًا ونقدًا (266-284).

(3) انظر هذه الشبهات في الفتوحات المكية (28/4) والإبريز (90-103) وأوردها الشاطبي في الاعتصام (261/1-264) وابن حاج في المدخل (289/4-294).

(4) سبق تخريجه.

ثالثًا: من جملة ما استدل به ابن عربي على جواز العمل بالمنامات ما أورده الإمام مسلم في مقدمة كتابه الصحيح بسنده عن علي بن مسهر[1] قال: سمعت أنا وحمزة الزيات[2] من أبان بن أبي عياش[3] نحوًا من ألف حديث قال علي: فلقيت حمزة فأخبرني أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام، فعرض ما سمع من أبان، فما عرف منها إلا شيئًا يسيرًا خمسة أو ستة [4].

(1) هو أبو الحسن القرشي الكوفي، العلامة الحافظ قاضي الموصل (120-189هـ) سمع عن يحيى بن سعيد الأنصاري والأعمش وغيرهما، وروى عنه أبو بكر بن أبي شيبة وخلق كثير، وثقه أبو زرعة وابن معين وغيرهما، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (8/484-487) وفيات الأعيان (6/387) وشذرات الذهب (1/325).

(2) هو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات (ت158هـ) شيخ القراء أخذ عنه القرآن الكسائي وغيره وثقه ابن معين وقال الكسائي ليس به بأس، وقال الساجي صدوق سيء الحفظ، وقال الذهبي وحدثه لا ينحط عن رتبة الحسن، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (7/90-92) والجرح والتعديل (3/209-210) وتقريب التهذيب (405).

(3) هو ابن فيروز أبو إسماعيل العبدي، مولاهم البصري، روى عن أنس بن مالك وروى عن الثوري وحماد بن سلمة، قال الإمام أحمد وأبو حاتم وأبو زرعة متروك، وقال ابن معين ليس حديثه بشيء انظر ترجمته في الجرح والتعديل (2/295، 296) الكاشف (1/32) الكامل لابن عدي (1/372-378).

(4) مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي (1/115).

المبحث الثاني
الرَّدُّ على شبهاتهم

تبيَّن في المبحث السابق أن الرؤى والمنامات مصدر تلق عند الصوفية، وهذا المصدر عندهم لا يتطرق إليه شك؛ بل هو من الأمور اليقينية، والعقائد الراسخة، وتبين كيف أنهم بنوا عليه كثيرًا من عقائدهم الباطلة، وكثير ممن كتب منهم في تراجم الصوفية ذكروا في تراجمهم أنهم رأوا الله، ورأوا الرسول ﷺ وأمرهم بكذا أو نهاهم عن كذا، وهذا أمر لا ينكره أحد منهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وكثير من المتصوفة يبني على منامات وأذواق وخيالات يعتقدها كشفًا وهي خيالات غير مطابقة، وأوهام غير صادقة ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم][1].

والرد على مذهبهم وشبهاتهم يكون من وجوه عامة وخاصة:

أما الوجوه العامة فكما يلي:

أولا: أن الحق الذي لا يشوبه باطل هو الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وما عدا ذلك من المنامات والحكايات ونحوها ففيها الحق والباطل، ويعرف ذلك بعد عرضها على الكتاب والسنة؛ فما زكياه منها قبل وإلا رد على صاحبه مهما كان القائل به [2].

---

(1) قاعدة في المعجزات والكرامات لشيخ الإسلام ابن تيمية، مطبوع ضمن مجموع الفتاوى له (11/339، 429).

(2) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (19/5، 7).

فالمؤمن هو الذي يستغني بالوحي، ويكتفي بالنبي ﷺ فيتبعه اتباعًا عامًا غير مشروط، وأما غيره فيتبع بشرط موافقته للشرع، ولهذا وجب عند التنازع والاختلاف: الردُّ إلى الله ورسوله، وكذلك يجب رد المنامات ونحوها إلى الكتاب والسنة، ووزنها بميزان الشرع.

فمن لم يبن على هذا الأصل العظيم علمه وعمله وسلوكه وجميع أمره، فليس من الدين في شيء[1]؛ فالله تعالى يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [آل عمران: 31].

وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 3] وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7].

وقال: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾. [النساء: 59].

وقال ابن الحاج رحمه الله: وليحذر مما يقع لبعض الناس في هذا الزمان؛ وهو أن يرى النبي ﷺ في منامه فيأمره بشيء أو ينهاه عن شيء فيتبعه فيقدم على فعله أو تركه لمجرد المنام دون عرض على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلى

(1) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (19-66) ومدارج السالكين (496/1) وقطر الولي شرح حديث الولي للشوكاني (278).

أقوال السلف رضي الله عنهم؛ قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾؛ فمعنى قوله: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ﴾ إلى كتاب الله تعالى.

ومعنى قوله: ﴿وَالرَّسُولِ﴾ أي إلى الرسول في حياته وإلى سنته بعد وفاته... إلى أن قال رحمه الله: ووجه ثالث وهو أن العمل بالمنام مخالف لقول صاحب الشريعة ﷺ؛ حيث قال: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي**». جعل ﷺ النجاة من الضلالة في التمسك بهذين الأصلين الذين لا ثالث لهما، ومن اعتمد ما يراه في منامه فقد زاد لها ثالثًا [1].

وقال الشاطبي رحمه الله: وأضعف هؤلاء احتجاجًا قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات وأقبلوا وأعرضوا بها، فيقولون: رأينا فلانًا الرجل الصالح فقال لنا: اتركوا كذا، واعملوا كذا، ويتفق هذا كثيرا للمتمرسين[2] برسم التصوف، وربما قال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي كذا، وأمرني بكذا. فيعمل بها ويترك بها، معرضًا عن الحدود الموضوعة في الشريعة، وهو خطأ؛ لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعًا على حال إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سوغتها عمل بمقتضاها، وإلا وجب تركها والإعراض عنها[3].

---

(1) المدخل (4/286-287) والحديث سبق تخريجه.

(2) التمرس: شدة الالتواء، والمراد التلعب بالدين والعبث به، والمقصود بهم هنا المقلدون للصوفية، انظر النهاية في غريب الحديث (4/318).

(3) وقد سبق في مبحث هل يسوغ العمل وفق الرؤيا الصالحة؟ وأن ذلك بشرط موافقتها للشرع؛ فالعبرة حينئذ بالشرع لا بها، ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم لا يعملون بالرؤيا حتى يعرضوها على النبي ﷺ كما في قصة الأذان، فإن أقرها وإلا فلا، وكذلك المؤمن لا بد أن يعرض رؤياه على الشريعة فإن وافقتها وإلا تركها، وانظر: المدخل لابن الحاج (4/293).

وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة، وأما استفادة الأحكام فلا، كما يحكى عن الكتاني رحمه الله قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: ادع الله ألا يميت قلبي، فقال: قل كل يوم أربعين مرة، يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت؛ فهذا كلام حسن لا إشكال في صحته وكون الذكر يحيي القلب صحيح شرعًا وفائدة الرؤيا التنبيه على الخير، وهو من ناحية البشارة؛ وإنما يبقى الكلام في التحديد بالأربعين، وإذا لم يوجد على اللزوم استقام.

وعن أبي يزيد البسطامي[1] رحمه الله قال: رأيت ربي في المنام، فقلت: كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك وتعالَ.

وشأن هذا الكلام من الشرع موجود، فالعمل بمقتضاه صحيح؛ لأنه كالتنبيه لموضع الدليل؛ لأن ترك النفس معناه ترك هواها بإطلاق، والوقوف على قدم العبودية والآيات تدل على هذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: 40، 41] وما أشبه ذلك، فلو رأى في النوم قائلا يقول: إن فلانًا سرق فاقطعه، أو عالمًا فسأله أو اعمل بما يقول لك، أو فلانًا زنى فحده، وما أشبه ذلك، لم يصح له العمل حتى يقوم له الشاهد في اليقظة، وإلا كان عاملاً بغير الشريعة، إذ ليس بعد الرسول ﷺ وحي[2].

---

(1) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي، ويقال با يزيد (188-261هـ) صوفي شهير له شطحات كثيرة، ويعرف باتباعه الطيفورية أو البسطامية.
انظر ترجمته ومذهبه في طبقات الصوفية (ص74-76) والطبقات الكبرى (65/1، 66) والرسالة للقشيري (80/1-82) وشذرات الذهب (143/2-144).

(2) الاعتصام (260/1، 261).

وقال ابن القيم رحمه الله: وأما رؤيا غيرهم - أي غير الأنبياء - فتعرض على الوحي الصريح، فإن وافقت وإلا لم يعمل بها.

فإن قيل: فما تقولون إذا كانت رؤيا صادقة، أو توطأت؟

قلنا: متى كانت استحال مخالفتها للوحي، بل لا تكون إلا مطابقة لـــه، منبهة عليه، أو منبهة على اندراج قضية خاصة في حكمة، لم يعرف الرائـــي اندراجها فيه فتنبه الرؤيا على ذلك[1].

فالشريعة حاكم، لا محكوم عليها، ولو كان ما يقع من المنامات ونحوها حاكمًا على الشريعة بتخصيص عام، أو تقييد مطلق، أو تأويل ظاهر، أو نحو ذلك لكـــان غيرها حاكمًا عليها، وصارت محكومًا عليها بغيرها، وذلك باطل باتفاق[2].

ثانيًا: أن الرؤى منقسمة إلى ثلاثة أقسام:

1- رؤيا من الله.

2- حلم من الشيطان.

3- وحديث نفس.

والتميز بينها مشكل، فمن أين يأتي اليقين بأن رؤيا فلان هذه من الله لا من النفس ولا من الشيطان، ولهذا لا عصمة فيها بخلاف رؤيا الأنبياء [3].

قال ابن الحاج رحمه الله: وإذا كانت الرؤيا على ما تقدم ذكره من التفصيل وأن المعتبر منها قسم واحد، فكيف يمكن السكون إلى ما يراه الرائي في نومه مع وجـــود

---

(1) مدارج السالكين (52/1).
(2) انظر: مشتهى الخارف (ص81).
(3) انظر: مدارج السالكين (62/1) والاعتصام (262/1) والتنكيل (259/2).

تلك الاحتمالات أو الإقدام على العمل بما يراه الرائي في نومه قبل أن يعرضه على الكتاب والسنة المضمون له العصمة اتباعهما هذا مما لا يتعقل[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وغالب ما يستند إليه الواحد من هؤلاء؛ أن يدعي أنه رأى منامًا فأما المنامات فكثير منها بل أكثرها كذب، وقد عرفنا في زماننا بمصر، والشام، والعراق من يدعي أنه رأى منامات تتعلق ببعض البقاع أنه قبر نبي، أو أن فيه أثر نبي، ونحو ذلك؛ ويكون كاذبًا وهذا شيء منتشر فرآئي المنام غالبًا ما يكون كاذبًا، وبتقدير صدقة فقد يكون الذي أخبره بذلك شيطان.

والرؤيا المحضة التي لا دليل يدل على صحتها لا يجوز أن يثبت بها شيء بالاتفاق؛ فإنه ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**الرؤيا ثلاث: رؤيا من الله، ورؤيا مما يحدث به المرء نفسه، ورؤيا من الشيطان**»[2].

فإذا كان جنس الرؤيا تحته أنواع ثلاثة، فلا بد من تمييز كل نوع منها عن نوع[3].

وقال الشاطبي رحمه الله: اعلم أن النبي ﷺ مؤيد بالعصمة معضود بالمعجزة الدالة على صدق ما قال وصحة ما بين، وأنت ترى الاجتهاد الصادر منه معصومًا بلا خلاف؛ إما لأنه لا يخطئ البتة، وإما أنه لا يقر على خطأ إن فرض فما ظنك بغير ذلك؟

---

(1) المدخل (292/4).

(2) سبق تخريجه.

(3) رسالة لشيخ الإسلام في جواب لسؤال عن رأس الحسين، مطبوع ضمن مجموع الفتاوى له (457/217، 458).

فكل ما حكم به أو أخبر عنه من جهة رؤيا نوم، أو رؤية كشف مثل ما حكم به مما ألقى إليه الملك عن الله عز وجل.

وأما أمته فكل واحد منهم غير معصوم؛ بل يجوز عليه الغلط، والخطأ والنسيان ويجوز أن يكون رؤياه حلمًا وكشفه غير حقيقي، وإن تبين في الوجود صدقه، واعتيد ذلك فيه، واطرد فإمكان الخطأ، والوهم باق، وما كان هذا شأنه لم يصح أن يقطع به حكم [1].

وقال ابن القيم رحمه الله: "ومن كيده: أنه يحسن إلى أرباب التخلي، والزهد، والرياضة والعمل بهاجسهم، وواقعهم دون تحكيم أمر الشارع.

ويقولون: القلب إذا كان محفوظًا مع الله كانت هواجسه، وخواطره معصومة من الخطأ، وهذا من أبلغ كيد العدو فيهم.

فإن الخواطر والهواجس ثلاثة أنواع: رحمانية ، وشيطانية ، ونفسانية، كالرؤيا فلو بلغ العبد من الزهد و العبادة ما بلغ فمعه شيطانه ونفسه لا يفارقانه إلى الموت، والشيطان يجري منه مجرى الدم، والعصمة إنما هي للرسل صلوات الله وسلامه عليهم، الذين هم وسائط بين الله، عز وجل، وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده، ومن عداهم يصيب ويخطئ وليس بحجة على الخلق.

وقد كان سيد المحدثين الملهمين: عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول الشيء فيرده عليه من هو دونه، فيتبين له الخطأ فيرجع إليه، وكان يعرض هواجسه وخواطره على الكتاب والسنة، ولا يلتفت إليها، ولا يحكم بها ولا يعمل بها[2].

---

(1) الموافقات (83/4، 84).

(2) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (143/1) تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية =

وما أحسن الرد الذي رد به الشنقيطي رحمه الله على الصوفية، حيث قال: إن المقرر في علم الأصول أن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به، لعدم العصمة ولعدم الدليل على الاستدلال به، بل ولوجود الدليل على عدم جواز الاستدلال به.

وما يزعمه بعض المتصوفة من جواز العمل بالإلهام في حق الملهم دون غيره، وما يزعمه بعض الجبرية أيضًا من الاحتجاج بالإلهام في حق الملهم دون غيره جاعلين الإلهام كالوحي المسموع، كله باطل لا يعول عليه لعدم اعتضاده بدليل، وغير المعصوم لا ثقة بخواطره، لأنه لا يأمن من دسيسة الشيطان، وقد ضمنت الهداية في اتباع الشرع، ولم تضمن في اتباع الخواطر والإلهامات[1].

ثالثًا: إن الرؤيا قد تكون على خلاف ظاهرها، حتى رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما سبق لنا[2].

رابعًا: يلزم من القول بحجية الرؤى أن تكون تجديدًا في الوحي يحكم به بعد النبي ﷺ وهذا باطل بالإجماع.

قال الشاطبي رحمه الله يحكى أن شريك بن عبد الله القاضي دخل على المهدي، فلما رآه قال: علي بالسيف والنطع، قال: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت في منامي كأنك تطأ بساطي وأنت معرض عني فقصصت رؤياي على من عبرها، فقال لي: يظهر لك طاعة ويضمر معصية.

الطبعة الأولى (1407 هـ).

(1) أضواء البيان (159/4).

(2) انظر التنكيل (259/2).

فقال له شريك: والله ما رؤياك برؤيا إبراهيم الخليل عليه السلام، ولا معبرك بيوسف عليه السلام، أفبالأحلام الكاذبة تضرب أعناق المؤمنين؟ فاستحى المهدي، وقال: اخرج عني، ثم صرفه وأبعده.

ثم قال الشاطبي رحمه الله: "وأما الرؤيا التي يخبر فيها رسول الله ﷺ بحكم فلا بد من النظر فيها أيضًا، لأنه إذا أخبر بحكم موافق لشريعته، فالحكم استقر وإن أخبر بمخالف، فمحال لأنه ﷺ لا ينسخ بعد موته شريعته المستقرة في حياته، لأن الدين لا يتوقف استقراره بعد موته على حصول المرائي النومية، لأن ذلك باطل بالإجماع؛ فمن رأى شيئًا من ذلك، فلا عمل عليه، وعن ذلك نقول: إن رؤياه غير صحيحة، إذ لو رآه حقًا لم يخبره بما يخالف الشرع"[1].

خامسًا: أن النائم ليس من أهل التحمل للرواية، لعدم حفظه.

قال النووي رحمه الله: "إن الرائي وإن كانت رؤياه حقًا ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي بما جاء فيها، لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي، وقد اتفقوا على أن من شرط من تقبل روايته وشهادته أن يكون متيقظًا لا مغفلا ولا سيئ الحفظ، ولا كثير الخطأ ولا مختل الضبط، والنائم ليس بهذه الصفة، فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه.

هذا كله في منام يتعلق بإثبات حكم على خلاف ما يحكم به الولاة، أما إذا رأى النبي ﷺ يأمره بفعل ما هو مندوب إليه، أو ينهاه عن منهي عنه، أو يرشده إلى فعل مصلحة، فلا خلاف في استحباب العمل على وفقه، لأن ذلك ليس حكمًا بمجرد المنام بل ما تقرر من أصل ذلك الشيء، والله أعلم"[2].

---

(1) الاعتصام (162/1).

(2) شرح النووي لصحيح مسلم (115/1).

وقال ابن الحاج رحمه الله: " إن الله لم يكلف عباده بشيء مما يقع لهم في منامهم لقوله ﷺ: «**رفع القلم عن ثلاثة**» وذكر منهم «**النائم حتى يستيقظ**»[1] لأنه إذا كان نائمًا فليس من أهل التكليف فلا يعمل بشيء يراه في منامه" [2].

وقال الشوكانيُّ – رحمه الله – في رؤيا النبي ﷺ: "ذكر جماعة من أهل العلم أنه يكون حجة، ويلزم العمل به، وقيل لا يكون حجة، ولا يثبت به حكم شرعي، وإن كانت رؤية النبي ﷺ رؤية حق، والشيطان لا يتمثل به، لكن النائم ليس من أهل التحمل للرواية لعدم حفظه"[3].

سادسًا: أن الشرع الذي شرعه الله لنا على لسان نبينا محمد ﷺ قد كمله الله عز وجل و لم يأتنا دليل يدل على أن رؤيته في النوم بعد موته ﷺ إذا قال فيها بقول، أو فعل فيها فعلا يكون دليلا وحجة، بل قبضه الله إليه عندما كمَّل لهذه الأمة ما شرعه لها على لسانه، فأين الدليل على حجية الرؤى؟ [4].

أما الوجوه الخاصة في الرد على ما أوردوه من أدلة فكما يلي:

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه معلقًا في كتاب الطلاق باب الطلاق في الإغلاق (344/9) وأبو داود في سننه (4399/9) والترمذي في سننه (1423) وابن ماجه في سننه (2043) من حديث عائشة.

(2) المدخل (286/4).

(3) إرشاد الفحول ص(242)، وانظر: المدخل لابن الحاج (286/4) وأفعال الرسول ﷺ للأشقر (162/2) وطرح التثريب (213/8) وتهذيب موعظة المؤمنين للشيخ جمال الدين القاسمي ص(171، 172) راجعه وحققه محمود مهدي الاستانبولي ومحمد عيد عباس دار ابن القيم.

(4) انظر: المدخل لابن بدران (297) وإرشاد الفحول للشوكاني (249).

أولاً: قولهم إن الرؤيا من أجزاء النبوة، فلا ينبغي أن تهمل.

يجاب عنه من وجوه:

الوجه الأول: إن كانت الرؤيا من أجزاء النبوة فليست تعدل كمال الوحي، بل جزء من أجزائه، والجزء لا يقوم مقام الكل في جميع الوجوه، بل إنما يقوم في مقامه في بعض الوجوه، فقد صرف هذا الجزء إلى جهة البشارة والنذارة، وقد تقدم بيان كون الرؤيا جزءا من أجزاء النبوة، وأن ذلك لا يعني أنها نبوة.

الوجه الثاني: من شرط الرؤيا التي هي جزء من أجزاء النبوة، أن تكون صالحة من الرجل الصالح، وحصول هذه الشروط مما ينظر فيه، فقد تتوافر وقد لا تتوافر [1].

ثانيًا: قولهم إن المخبر في المنام قد يكون النبي ﷺ وهو قد قال: «**من رآني في المنام فقد رآني حقًا، فإن الشيطان لا يتمثل بي**» وعلى هذا فإخباره في النوم كإخباره في اليقظة.

والجواب أن معنى هذا الحديث أن رؤيته ﷺ في المنام صحيحة وليست من أضغاث الأحلام إذا رآه على صورته التي وصفت لنا [2].

قال ابن رشد رحمه الله: "وليس معنى قوله ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رآني حقًا**» أن كل من رآه في المنام فقد رآه حقيقة، بدليل أن الرائي قد يراه مرات على صور مختلفة، ويراه الرائي على صفة، وغيره على صفة أخرى، ولا يجوز أن تختلف صور النبي ﷺ ولا صفاته.

---

(1) انظر: الاعتصام (261/1) وعمدة القارئ شرح صحيح البخاري (134/24) وطرح التثريب (215/8).

(2) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (115/1).

وإنما معنى الحديث: من رآني على صورتي التي خلقت عليها، وإنما قال: «**من رآني فقد رآني**» وأني لهذا الرائي الذي رأى أنه رآه على صورة، أنه رآه عليها؟ وإن ظن أنه رآه، ما لم يعلم أن تلك الصورة صورته بعينها، وهذا ما لا طريق لأحد إلى معرفته".

قال الشاطبي رحمه الله: "فهذا ما نقل عن ابن رشد، وحاصله يرجع إلى أن المرئي قد يكون غير النبي ﷺ وإن اعتقد الرائي أنه هو، ثم إن الشيطان قد يأتي النائم في صورة ما، من معارف الرائي وغيرهم فيشير إلى رجل آخر هذا فلان النبي"[1].

وقال النووي رحمه الله في أثناء كلامه على خصائص النبي ﷺ: «أن من رآه في المنام فقد رآه حقًا، فإن الشيطان لا يتمثل في صورته، لكن لا يعمل بما يسمعه الرائي منه في المنام مما يتعلق بالأحكام خلاف ما استقر في الشرع لعدم ضبط الرائي لا للشك في الرؤيا لأن الخبر لا يقبل إلا من ضابط مكلف والنائم بخلافه، فعلى هذا؛ فمن رأى النبي ﷺ في منامه، وخاطبه وكلمه وصل إلى ذهن الرائي لفظ، أو ألفاظ من العوائد التي هي واقعة في زمن الرائي أو قبله وتكون مخالفة لشريعته عليه الصلاة والسلام، فلا يجوز له ولا لغيره التدين بها، ولا أن يعتقد أن ما وصل إلى ذهنه في منامه مما يخالف الشريعة المطهرة أنه صحيح لأن تنزيه النبي ﷺ عن نسبة ذلك وما شاكله أمر واجب ومتعين، إذ أن العصمة في رؤيا صورته الكريمة عليه الصلاة والسلام، ليس إلا دون ما يكون من الزيادة أو النقصان»[2].

---

(1) الاعتصام (263/1).

(2) تهذيب الأسماء واللغات (43/1).

ثالثًا: ما ورد في خبر أبان بن أبي عياش، فقد قال القاضي عياض رحمه الله: هذا ومثله استئناس واستظهار على ما تقرر من ضعف أبان، لا أنه يقطع بأمر المنام، ولا أنه تبطل بسببه سنة تثبت، ولا تثبت به سنة لم تثبت، وهذا بإجماع العلماء.

قال النووي رحمه الله معقبًا على كلام القاضي: "وكذا قاله غيره من أصحابنا وغيرهم فنقلوا الاتفاق على أنه لا يغيَّر بسبب ما يراه النائم ما تقرر في الشرع" [1].

قال الألباني رحمه الله: "ومن المقرر عند العلماء أن الرؤيا لا يثبت بها حكم شرعي فبالأولى ألا يثبت بها حديث نبوي، والحديث أصل الأحكام بعد القرآن" [2].

هناك شبهات أخرى ذكرها ابن الحاج رحمه الله وأجاب عليها فقال:

فإن قال قائل: قد شرع الأذان بسبب المنام.

فالجواب: أن هذا يؤيد ما تقدم ذكره من عرض الرؤيا على الشريعة المطهرة فإذا وافقت أمضيت، وإن خالفت تركت بدليل أنهم لم يعملوا بما رأوه حتى عرضوه على صاحب الشريعة، صلوات الله وسلامه عليه فشرع بما رآه عليه الصلاة والسلام، فوجب أن يرجع في ذلك إليه، عليه الصلاة والسلام في حياته وإلى سنته بعد انتقاله إلى ربه عز وجل.

---

(1) شرح النووي لصحيح مسلم (115/1).

(2) سلسلة الأحاديث الضعيفة (456/1) قال الشيخ ذلك في رده على السيوطي عندما ساق قصة عن حمزة بن عبد المجيد في أنه رأى النبي ﷺ في المنام فسأله عن الحديث الموضوع من بلغه عني شيء فيه فضيلة فأخذ به إيمانًا به ورجاء لثوابه أعطاه الله ذلك وإن لم يكن كذلك، فقال: إنه عني وأنا قلته!

فإن قال قائل: فقد ورد من حديث سمرة بن جندب أن النبي ﷺ كان إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فيقول: «**من رأى منكم الليلة رؤيا، فإن رأى أحد رؤيا قصها، فيقول ما شاء الله أن يقول، فسألنا يومًا، هل رأى أحدكم رؤيا**» قلنا: لا، وقال: «**لكني رأيت الليلة رجلين أتياني**»[1].

فالجواب: أن هذا يؤيد ما تقدم ذكره أيضًا، فكانوا يرجعون إليه، عليه الصلاة والسلام، لا إلى ما رأوه فكذلك الحكم بعد انتقاله عليه الصلاة والسلام فالرجوع إلى شريعته لا إلى المرائي على ما تقدم ذكره.

فإذا عرضت الرؤيا على الكتاب والسنة فوافقت فهو حق وبشارة للرائي أو من رآه له لقوله عليه الصلاة والسلام: «**لم يبق بعدي من النبوة إلا المبشرات يراها...** »[2].

وخلاصة الأمر كما قال الشاطبي رحمه الله: "وعلى الجملة فلا يستدل بالرؤيا في الأحكام إلا ضعيف المنة، نعم يأتي المرئي تأنيسًا ، وبشارة ، ونذارة خاصة، بحيث لا يقطعون بمقتضاها حكمًا، ولا يبنون عليها أصلا وهو الاعتدال في أخذها حسبما فهم من الشرع فيها والله أعلم [3].

---

(1) سبق تخريجه ص 25.

(2) المدخل لابن الحاج (293/4، 294) والحديث سبق تخريجه (205).

(3) الاعتصام (264/1) وانظر: مناقشة الشيخ سعيد حوي للصوفية، في كتابه تربيتنا الروحية الباب الرابع عشر، في الرؤى والكشف والإلهام والكرامة ومحلها في دين الله والأخطاء الشائعة عنها وفيها وفي بعض الدوائر (209، 210) مع التنبه لما في هذا الكتاب من أخطاء عقدية، وخاصة فيما يتعلق بالكرامات، وانظر: نقد الدكتور عبد العزيز القارئ لهذا الكتاب في كتابه، العقيدة أولا.. لو كانوا يعلمون (48/42) الطبعة الثانية (1406هـ) مكتبة الدار بالمدينة المنورة.